

عالم الفكر

«مجتمع المعلومات»: في البحث عن فاعلية معرفية للمفهوم

المعرفة العلمية بين العوامل الاجتماعية والبنية المنطقية

في العلة وأصول اللغة والنحو

تمثيلات اللغة في الخطاب السياسي

استراتيجيات القراءة في النقد الثقافي

معالم في خطاب النقد الثقافي العربي المعاصر

من الصفرة إلى الشيفرة: المثاقفة وتحولات المصطلح النقدي

شعرية الهوية ونقض فكرة الأصل: الأنا بوصفها أنا أخرى

المجلد 36
يوليو
سبتمبر 1

أفكار
عربية



مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

2007

تمدر أربع مرات في السنة
عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

عالم الفكر

العدد 1 المجلد 36 يوليو - سبتمبر 2007

رئيس التحرير

أ. بدر سيد عبدالوهاب الرفاعي
bdrifai@nccal.org.kw

مستشار التحرير

د. عبدالمالك خلف التميمي

هيئة التحرير

د. علي الطراح
د. رشا حمود الصباح
د. مصطفى معرفي
د. بدر مال الله

مدير التحرير

عبدالعزیز سعود المرزوق
alam_elfikr@yahoo.com

سكرتيرة التحرير

موضي باني المطيري
alam_elfikr@hotmail.com

تم التنضيد والإخراج والتنفيذ
بوحدة الإنتاج في المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب
الكويت



مجلة فكرية محكمة ، تهتم
بنشر الدراسات والبحوث
المتسمة بالأمانة النظرية
والإسهام النقدي في مجالات
الفكر المختلفة .

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج العربي
الدول العربية
خارج الوطن العربي
دينار كويتي
ما يعادل دولارا أمريكيا
أربعة دولارات أمريكية

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد 6 د.ك
للمؤسسات 12 د.ك

دول الخليج

للأفراد 8 د.ك
للمؤسسات 16 د.ك

الدول العربية

للأفراد 10 دولارات أمريكية
للمؤسسات 20 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد 20 دولارا أمريكيا
للمؤسسات 40 دولارا أمريكيا

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك
المحول عليه المبلغ في الكويت وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 23996 -الصفاء- الرمز البريدي 13100

دولة الكويت

آفاق معرفية

- 7 «مجتمع المعلومات»: في البحث عن فاعلية معرفية للمفهوم. د. الصادق رابح
- 37 المعرفة العلمية بين العوامل الاجتماعية والبنية المنطقية. د. رشيد الحاج صالح
- 69 في العلة وأصول اللغة والنحو. د. السعيد شنوكة
- 117 تمثيلات اللغة في الخطاب السياسي. د. عيسى عودة برهومة
- 163 استراتيجيات القراءة في النقد الثقافي نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص. د. عبد الفتاح أحمد يوسف
- 209 معالم في خطاب النقد الثقافي العربي المعاصر خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين. د. سهيل الحبيب
- 255 من الصفر إلى الشيفرة المتأقفة: وتحولات المصطلح النقدي. د. زياد الزعبي
- 275 شعرية الهوية ونقض فكرة الأصل: الأنا بوصفها أنا أخرى (دراسة ثقافية). د. علاء عبدالهادي

تمثيلات اللغة في الخطاب السياسي

د. عيسى عودة برهومة (*)

المقدمة

في البدء كان الصراع، يوم أن تاق الإنسان إلى امتلاك الأرض والسيطرة على كل شيء، ثم تحولت الغايات من أجل البقاء، واكتنفت طريق هذا الكائن الملمّات والصعاب، فتارة يغالبها بتذليلها والتفوق عليها وطورا يصطنع الوسائل ليمضي دولاب الحياة.

ولم تخل مسيرة الإنسان في التنافس مع أخيه الإنسان، وسطوة الطبيعة من استنزاف طاقاته وموارده، بل صار من الصعب تفسير ظهور الجماعات غير المحلية واجتماعها دون صراع، فغدا التصارع سمة إنسانية سرمدية تغذي نفسها بنفسها، فكانت الحروب بين المؤمنين وغير المؤمنين، وحروب المنتمين إلى الجماعة وغير المنتمين إليها، حروب المذاهب، وحروب الفرق، وحروب القوميات والطوائف، صراع بين المالكين والعاملين، بين من يملك السلطة وبين المحكومين، وظلت دورة التاريخ الكبرى في سيرورتها، ولم تستطع التقنية الحديثة أن تمنع هذا الكائن من اقتلاع هذه اللوثة، بل أخذ الصراع في عصر العولمة أشكالاً جديدة، فعاد صراع الولاء والانتماء للقبيلة والطائفة والعرق والدين، وتفوق هذا التلاحم على قيم التصالح والانصهار من خلال المعيشة والمصلحة المشتركة (**).

ولعلنا في هذه الدراسة نرمي إلى استجلاء الحديث عن صراع القيم الحضارية في زمن باتت الثنائيات تستعلن في فضاءاتنا وتتغيا صوراً وأشكالاً عديدة، ولا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر إذ صرنا نلمس خطاب الأنا والآخر في تصريحات الساسة وفكر منظريهم، ولم تتوقف هذه الضدية على أشكال الخطابة، بل تلازم ذلك مع السلوكات التي يمارسها الغرب ضد الآخر/الشرق، من يحارب ضد ما يسمى الإرهاب، وبين من يتبنى فكراً إرهابياً حسب زعم أمريكا.

(*) أستاذ مساعد في اللسانيات الحديثة قسم اللغة العربية وآدابها - كلية العلوم والآداب - الجامعة الهاشمية،

المملكة الأردنية الهاشمية.

(**) للاستزادة ينظر: خلدون النقيب، في البدء كان الصراع.

تعللة اللغة في الخطاب السياسي

من هنا تبرز أهمية الدراسة التي تحاول أن تعرض المشهد الحقيقي لطبيعة الصراع بين الشرق والغرب، وكيف يتجلى خطاب التفوق الذي يمارسه الغرب وعلى رأسه أمريكا، وما ينشأ منه ردود فعل لدى الشرق العربي والمسلم.

إن كثيرا من تجليات الصراع القائم بين الغرب والشرق ناجم عن المقدمات التي تبناها الغرب عبر مفكره، إذ نلاحظ أنهم رأوا أن الحضارة الغربية هي نهاية التاريخ وهي قمة ما وصلت إليه الإنسانية من رقي وتطور، وهذا ما نلمسه في أفكار هنتجتون وفوكوياما، علاوة على ذلك ما تحاوله أمريكا من فرض ثقافة العولمة على الشعوب الأخرى التي تتمسك بهويتها وخصوصيتها، إذ لا بقاء - على زعم أمريكا - للثقافات المحلية والقومية، بل السطوة والنهوض لثقافة عالمية تضبط عقاربها وفقا للبوصلة الأمريكية، فتُمسي العولمة صورة من صور «الأمركة» بتحقيقاتها المتنوعة كالثقافة والإعلام والفنون والسياسة والاقتصاد.

لعل من أظهر حقوق الإنسان أن يحافظ هذا الكائن على لونه وهويته ومعتقداته، دون إكراه أو تسلط لتبني أفكار وافدة، ولن يتحقق الأمن والسلام بين الشعوب إلا حين تتعاطى الحضارات بعضها مع بعض على قاعدة التكافؤ والشراكة في الإنسانية، والتصالح من أجل المستقبل الذي لن يشيده شعب أو أمة بل اجتماع الشعوب والأمم على مبادئ الاحترام وتعزيز قيم التسامح، ودون ذلك سيبقى الصراع مستشرى ويضرب أطنابه في كوكبنا مهما حاولت الدول الكبرى أن تخطط لاجتثائه، فكل نتيجة مرتبطة بمقدمات كما يرى المناطقية، فإصلاح المقدمات لن يتحقق إلا بتغيير النظرة تجاه الآخر، وتجاوز نداء التفوق المادي، لأن هذه المستندات في الحراك التاريخي لا قيمة لها، ولا ديمومة لخطابها.

الخطاب والقيم الحضارية

الخطاب (Discours) :

شغل الخطاب في الآونة الأخيرة المفكرين، وشهد تغيرات كثيرة وورد على الألسنة، ونهدت الدراسات، وأنشئ العديد من الجمعيات والمدارس بشأن هذا الموضوع، ليشمل جميع العلوم، ولا تخلو دراسة من هذا الموضوع الذي أصبح جلَّ اهتمام الكثيرين من الباحثين والكتاب.

وهو كأي مصطلح معرفي، ثمة وشيجة تربط بين الأصل اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فلفظة (خَطَب) من الجذر [خ ط ب] وخَطَبَ الناس وفيهم وعليهم، أي ألقى عليهم خُطبة، وخَاطَبه، مخاطبا وخِطابا: كالمه وحادثه، أي وجّه إليه كلاما، وقد قيل قديما: خاطبه في الأمر حدثه بشأنه⁽¹⁾.

والخطاب: الكلام، وتردّدت هذه المفردة في القرآن الكريم نحو: ﴿فقال أگفلنيها وعزني في الخطاب﴾، ﴿آتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾، ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾. والتخاطب الأمر الشديد

الذي يكثر فيه الحديث، والخطيب من يقوم بالخطابة، وهو المتحدث عن قومه، فالخطيب دائماً نراه على منابر المساجد، فهو النائب عنهم ويصدر القرار واللغة، فما شخصية هذا الخطيب؟ وهل لغة الخطيب السياسي تختلف عن أي خطيب آخر، وما ماهية هذا الخطاب؟ والإم يرمز؟ وهل هناك رموز ودلالات خاصة بهذا النوع الخطابي؟.

نبدأ بأصل الكلمة في اللغة العربية ثم نسرد معناها في اللغات الأجنبية؛ ملتفتين إلى ما ينظم هذا المفهوم من الروابط. ففي الأصل الاصطلاحي في لسان العرب لابن منظور وردت المادة [خ ط ب] وذكرها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ونخلص مما جاء في هذه المرجعيات إلى بعض الإلماعات الآتية:

- الشأن والغرض من المصدر المشتق (خطب) بسكون الطاء، وهذا المعنى تردد في القرآن الكريم خمس مرات في خمس سور نحو ما جاء في سورة يوسف، قال تعالى: ﴿قال ما خطبكم إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ [الآية 51] وفي سورة القصص «ما خطبكما» [الآية 23].

ومن الأفعال: خطب وخطب، المقصود منها كلام حامل الشأن وذلك الغرض، فورد في القرآن «خطب» مرتين قصد به مجرد الكلام، قال تعالى: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ [هود، الآية 27] وسورة الفرقان بالمعنى نفسه، أما في سورة [ص] فجاءت بإضافة شيء جديد وهو النفوذ والسلطة، قال تعالى: ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ [الآية 20] وهذا هو المعنى لكلمة الخطاب وهو إنجاز الشأن أو الغرض، ونستكنه من ذلك أن الخطاب له قدرة تعبوية، ويؤثر في السامعين؛ لذلك يقترب بالسلطة دائماً⁽²⁾. وأشار عبد العزيز البخاري إلى أن فصل الخطاب تشمل اللفظ والفحوى، كما أن التهانوي رد على من قال بأن كلام الله (خطاب) إذ إنه كلام لفظي متعال⁽³⁾ وتعني هذه الآية [فصل الخطاب] عبارة عن كونه قادراً على التعبير عن كل ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء، وينفصل كل مقام عن مقام⁽⁴⁾.

وتحت عنوان «لكل مقام مقال» كتب السكاكي قائلاً: «لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهئة يباين التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، وجميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر.

الأصل الأجنبي:

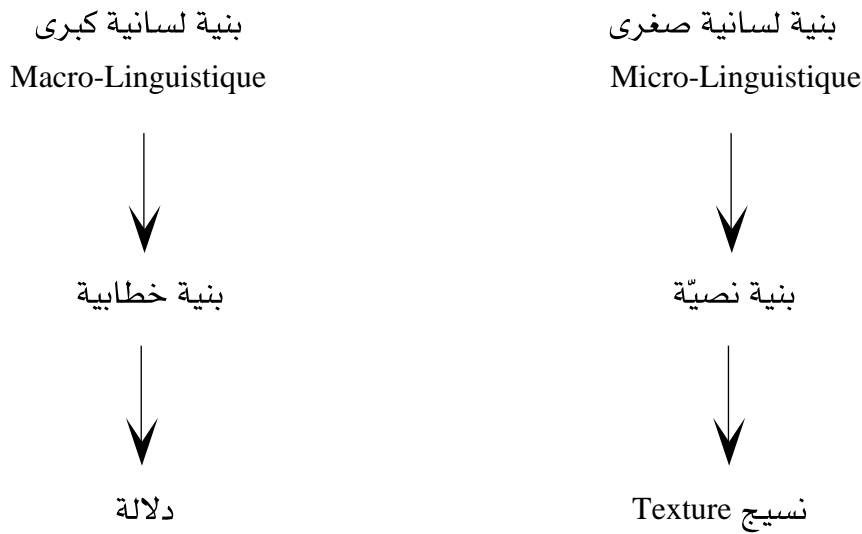
في الأصل الأجنبي كلمة (Discours) وأصلها اللاتيني هو: (Discursus) وفعالها: (Discurre) وتعني الجري هنا وهناك، كما أنها تعبر عن «الجدل» (Dialectique) و«العقل أو النظام» (Logos) وهذا نجده عند أفلاطون⁽⁵⁾.

تعلّات اللغة في الخطاب السياسي

وأول من طرح مسألة الخطاب في الدراسات اللسانية هو بيسونس (Buysens) عام ١٩٤٣، في حين لم يشر الأوائل من اللسانيين المحدثين أمثال دي سوسير، وجاكسون، وهلمسليف إلى مفهوم الخطاب، فـ «بول ريكور» (P.Recourd) يستخدم مفهوم الخطاب عوضاً عن الكلام ويستبدل ثنائية دي سوسير (desoussur) اللسان/الكلام، بثنائية اللسان/ الخطاب، وريكور من ناحيته يضع الخطاب بدلا من الكلام، ليس ليؤكد خصوصية الخطاب حسب، بل ليفرّق بين علم الدلالة والسيما؛ لأن السيمياء في رأيه تدرس العلاقة، بينما علم الدلالة يدرس الخطاب أو الجملة^(١).

ويذكر مانجنون (Mainguenu) أنه: «ينبغي ونحن نتحدث عن الخطاب أن نقطع الكلام في سياق تلفظ مفرد، وأن نتحدث عن نص ونؤكد ما يصنع الخطاب وجدّته، فالنص في الحقيقة كلٌّ وليس مجرد متتالية من الجمل^(٢). وبذلك يكون الخطاب نصاً مفتوحاً من جهة وضعيات التواصل أو على سياق التعامل بالقول، ومن جهة أن يجعل النص مندرجاً في نسق أكبر منه وهو الجنس، فالنصوص مختلفة ترتبط بالخطاب ارتباطها بالجنس [ارتباط النوع بالجنس]؛ فالخطاب يمكن أن نعدّه جنساً من أجناس يحوي بدوره جزئيات فرعية، وهذه الأجناس الفرعية تتشكل في صورة نصوص، وكل جنس فرعي من الأجناس الخطابية له بنيته الخطابية الخاصة، كما يرى ذلك هليداي (Hallidy).

ويعني هذا أن لكل نص بنيتين: بنية ذاتية هي التي فيه، وبنية يشترك فيها مع غيره هي بنية الخطاب، وتتمثل في التسلسل التالي:



وهذا البناء ينتج نسيج المادة الخطابية، لأنه مادة شاملة لجميع المواد، كما أسلفنا عبارة عن أجناس متكاملة، تتداخل بها نصوص ومواد وأصوات وحركات وإيماءات وإيحاءات داخل [الخطاب] كما في أعمال بارت (R.Barthes) وأعمال جينيت (G.Genette) من هذه الظاهرة التداخلية فسميت بـ : (Intertext) كما سميت بمسميات مختلفة، وقال بارت عن هذا: «كل نص إنما هو تداخل بين النصوص Intertext ففيه تحضر نصوص أخرى في مستويات متنوعة وتحت أشكال قابلة نسبيا لأن تتذكر، نصوص الثقافة السابقة ونصوص الثقافة المحيطة، فكل نص هو نسيج جديد من الشواهد المتطورة⁽⁸⁾. وبهذا برزت ظاهرة التناص، وهي نابعة من تداخل المعاني وتشابه الأغراض، وربما الأساليب التي تعبر عن المعاني والأغراض.

ويرى روجر فاوولر أن: الخطاب هو كلام أو كتابة مدركة من وجهة نظر المعتقدات والقيم والفئات التي تجسدها، فهو، إذن يشكل طريقة نظر إلى العالم، تنظيمًا أو تمثيلًا للتجربة - الأيديولوجيا في المعنى الطبيعي أو المقبول للمصطلح، بينما ترمز الأساليب المختلفة للخطاب إلى التمثيلات المتعددة للتجربة، وأصل هذه التمثيلات في السياق التواصلي الذي يكون فيه الخطاب مجسداً.

وعند مكدونيل: كل شيء يدل أو يحتوي على معنى يمكن أن يعد جزءاً من الخطاب⁽⁹⁾. وتشير سارة ميلز (Sara Mills) في كتابها الخطاب (Discourse) إلى تعدد الخطابات بتعدد النصوص المكونة لها، خصوصاً إذا ما أدركنا أن الخطاب هو التصور المجرد العام بينما النص هو المتحقق الفعلي له، وتعترف ميلز بصعوبة العثور على معنى بسيط وواضح للخطاب⁽¹⁰⁾.

فهو عبارة عن توصيل لرسالة ما عبر اللغة، واللغة أداة شفافة تحمل مقاصد المتكلم إلى المتلقي، أو تحمل الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه، وتشتمل على لغة وكلام، فهو تواصل لغوي لكن على نطاق واسع، فاختلف اللسانيون في إيراد معنى الخطاب فلا يكفي أن يقال إن الخطاب يتشكل من أكثر من جملة، فإيراد عدد من الجمل بصورة اعتباطية مثلاً لا يصنع خطاباً «فأي نسق من الجمل لا بد أن يترابط لكي يصنع خطاباً⁽¹¹⁾.

إذن، يتكون الخطاب من مجموعة من الجمل والتراكيب اللغوية لكن لا بد لهذه الجمل أن تكون متناسقة ومنظمة لكي يخرج خطاباً وله معنى، وكما يصبح نصاً مفهوماً، وحتى لا يبقى مبعثراً في الهواء، وبما أنه عبارة عن جمل، وهذه الجمل تنتج عناصر رئيسة لهذا الخطاب فهي مكونة من:

مرسل/متكلم يبعث نصاً [الرسالة/الخطاب] يتلقاها المرسل إليه/المستمع. لكن ما الذي يميز هذه الرسالة؟ ذكر بنفينيست (Benveniste) «أن كل قول يفترض متكلماً ومستمعاً، ويكون لدى المتكلم مقصد التأثير في الآخر على نحو ما⁽¹²⁾. وكما يقرر بنفينيست أن الخطاب يقابل

ثلاثة اللغة في الخطاب السياسي

اللغة، والجملة إبداع غير محدد لتنوع لا حد له، وهي الحياة الواقعية لكلام الناس في التحاور^(١٣). ونستشف من هذا أننا مع الجملة نغادر ميدان اللغة بوصفها نظاما للعلامات وندخل عالما آخر، إنه عالم اللغة بوصفها وسيلة اتصال، الأمر الذي يعبر عنه بالخطاب، وبذلك يكون كل تفوه يخرج، يفترض أن يكون هناك متكلم وسماع، وفي داخل المتكلم هناك القصد الذي يعني منه التأثير في الآخرين، وإذا تعيّن على هذا الكلام أن يكون منسقا فعليه أن يشكّل مادة تأثيرية على المتلقي، وإلا فلا فائدة ترجى منه، سوى العبثية والاعتباطية، وما خلقت أو اجترحت اللغة عبثا على هذه البسيطة، فيتسم الخطاب بصفة الاتصال والتأثير فهو لا يتحقق إلا باللغة ومن خلالها؛ ليخرج من العبثية إلى أن يتصف بالبلاغة (خطاب بليغ).

والخطاب هو الصيغة التي نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين، والصيغة التي نتلقى بها أفكارهم، فينبثق من المفهوم الضيق إلى الرحب؛ ليدل على ما يصدر عن المرسل من كلام أو إشارة أو إبداع فني^(١٤).

والخطاب يتجاوز حدود اللغة المنطوقة؛ ليضم تحت جوانحه كل ما نعبر به عن أنفسنا للآخرين، وعلى ما يعبرون لنا به عن أنفسهم، فيولد لدينا لغتين منطوقة وغير منطوقة، ونوعين مباشر وغير مباشر أيضا. فيتنوع الخطاب بذلك من خطاب أدبي [شعري، نثري]، اقتصادي، ثقافي، سياسي، ديني، تربوي، والشرط الأول من الخطاب ليؤدي دوره على أكمل وجه الحوار، توفر التبادل الكلامي، بالإضافة إلى النسق والترتيب، فهو نشاط إنساني بالغ الأهمية، ولا يستطيع الفرد الاستغناء عنه - عند فوكو - وكما يفسره هندس وهيرست على أنه «أفكار وضعت في نظم محددة من التعاقب، منتجة لآثار محددة (طرح القضايا، نقدها، حلها)، وهي بمنزلة نتيجة لذلك النظام»^(١٥). ويعتقد عز الدين إسماعيل أن ما عرفه هندس وهيرست إنما هو عبارة عن سياق من المعاني ويقتصر على الخطاب إجمالا ويشرحانه بأنه الكلام والكتابة.

ويُظن أن الخطاب سهل بسيط، شفاف، من اليسير على أحد أن يعرفه ويستجلي مفهومه، إذ إنه نظام غامض ليس لصعوبته وإنما لتلاعب اللغة فيه، فهو السهل الممتنع، وعلينا أن نجتمع مفهوما جامعا مانعا له، ولعل فوكو عبر عن هذه الوجهة بقوله: «هو مصطلح لسانی، يتميز عن النص والكلام والكتابة وغيرها، ويشمل لكل إنتاج ذهني، سواء كان نثرا أو شعرا، منطوقا أو مكتوبا، فرديا أو جماعيا، ذاتيا أو مؤسسيا، وللخطاب منطلق داخلي وارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها أو يحمل معناها أو يميل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما»^(١٦). والخطاب أيضا عملية عقلية منظمة مُتَّسِقَة منطقيًا، أو عملية مركبة من سلسلة العمليات العقلية الجزئية أو تعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ والقضايا التي يرتبط بعضها ببعض^(١٧)، ولم يعد الخطاب طريقة

للتعبير أو حديثا متساوقا، أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة، أو تحليلا لذات واعية تتأمل وتعرف وتعبر، وإنما أصبح إمكانا وشرط وجود ونظاما، وأصبح حقا تتمفصل فيه الذوات، ومجموعة علاقات تجد فيها مرتكزا له، وهذا التحول الإبيستيمولوجي في تناول أقاويل البشر، ويعد رائده المفكر الفرنسي ميشال فوكو الذي كان أول من أنشأ نظرية في وصف المقال في ميدان مستقل.

ولعل هذه المدارس تثير جملة من الأسئلة: لماذا ننتج خطابا؟ وما هي دوافع هذا الخطاب، وما أسبابه؟ وتتمثل الإجابة في ما يلي:

1 - لنحقق ذواتنا وأنفسنا، فالإنسان متميز بطبعه ويجب أن يطور ذاته ويحققها، وهذا ما يجعلنا قادرين على نقل أفكارنا للآخرين فيقبلونها، فالخطاب سبيلنا للتعبير عن ذواتنا.

2 - التحاور، فهدفه في آخر المطاف التلاقي ضمن محور واحد، ولعل سر وجود الإنسان يكمن في هذه الغاية، فمن خلال التخاطب يتم التلاقي أو النفور، وهذا بدرجات، فلا يقدر الإنسان على استمرارية الحياة دون كلام أو دون محاوره أهله وجيرانه من نطاق البيت إلى نطاق المجتمع إلى نطاق الدول، إلا من كان به علة، أو كان من غير البشر.

3 - اكتشاف المجهول، فالتخاطب يكشف لنا الحقيقة، ونستشف سر الكون والحياة، فتتم الاختراعات والتطورات، ويتحقق ذلك بمتعة عقلية تحتاج أيضا إلى تحاور.

فهذا الخطاب في حاجة كما عند فوكو إلى بلاغة قول وإلى خطيب ضليع في فهم القضايا والتعبير عنها، ولا بد أن يكون خطابه أكثر انسيابا وتدافقا سواء كان ذلك في الحديث أو العمل الفني، دون تكلف في الخطاب، فالطلاقة من صفات العمل الإبداعي، كما عليه أن يتصف بالأصالة، وذلك بعمق انتمائه إلى القضية التي يتحدث عنها، وإلى المجتمع، وإلى من يمثلهم أو ينوب عنهم⁽¹⁸⁾. فهو ثمرة اجتماع عناصر الخطاب [المرسل، المرسل إليه، السياق] من خلال هذا الكائن تبرز الأدوات اللغوية والآليات الخطابية المنتقاة، ووظيفة الخطاب هي التفاعلية والتعاملية ووظيفة اللغة تداولية؛ وهذه الوظيفة تعميمية إعلامية، ووظيفة اللغة الأساس هي وظيفة إعلامية⁽¹⁹⁾.

ويتردد لفظ الخطاب كثيرا بالاقتران بوصف آخر مثل الخطاب الثقافي، الخطاب الصوفي، الخطاب الأدبي، الخطاب الديني، الخطاب السياسي، الخطاب التاريخي، الخطاب الاجتماعي... وغيرها من الخطابات، نحو:

- **الخطاب السياسي:** النصوص السياسية هي في المستوى الأخير عبارة عن بنى لغوية، فالنصوص لا تنفك عن النظام اللغوي العام للثقافة التي تنتمي إليها، ولكنها من ناحية أخرى تبعد شفرتها الخاصة التي تعيد بناء عناصر النظام الدلالي الأصلي من جديد، وتقاس أصالة النصوص وتتحدد درجة إبداعيتها بما تحدثه من تطور في النظام اللغوي وما تحققه نتيجة

ثلاثة اللغة في الخطاب السياسي

لذلك من تطور في الثقافة والواقع معا، وعلى ذلك يمكن القول إن النصوص ترتبط بواقعها اللغوي الثقافي، فتتشكل به من جهة وتبدع شفرتها الخاصة التي تعيد بها تشكيل اللغة والثقافة من جهة أخرى^(٢٠).

والخطاب السياسي ليس كالخطابات الأخرى: الدينية، الثقافية، الروائية...، فلغته لغة تواصلية، فيخلو من اللغة الإبداعية، ولكن لا يعني هذا أن اللغة سلسلة، ولا تحتاج إلى تأمل أو فك شفرة، بل الخطاب السياسي يكتنه بالجمال الدلالي والتأملات، والغموض والإبهام، ولعل طبيعة النص السياسي، كطبيعة بعض الخطابات تحتاج إلى فهم وتأويل، كما تحتاج إلى متلقٍ بارع، من خلال الاستدلال المنطقي [المنطق]، كما أننا لا ندرك ما يرمي إليه المخاطب تماما. ونعدّ الخطاب السياسي نصا: موضوعه الفائدة أو الخسارة، ووظيفة هذا النص الحض أو التحذير، وانفعاله الخوف أو الأمل، وزمن هذا النص المستقبل. وقد يشتمل الخطاب السياسي على كل تلك النصوص، من خلال التناص.

فالخطاب السياسي تناظري يعرّف من هو المرسل إليه وليس كالنص الشعري، فهو نص تعميمي شامل إلى كل العوالم (العالم أجمع) فالمرسل إليه (المخاطب) حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضورا عيانياً، أم استحضارا ذهنيا، وهذا ما يسهم في حركية الخطاب، ويمنحه أفقا لممارسة اختيار استراتيجية خطابه، ولإبراز قدرة المرسل.

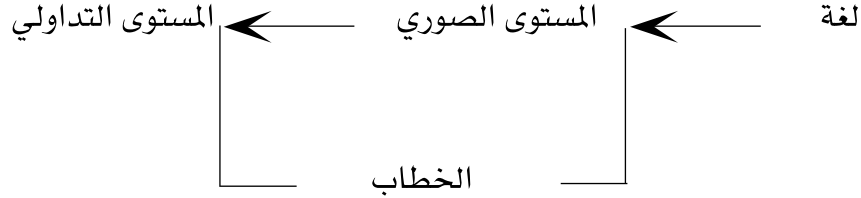
وكل نص يمتلك دلالة ومغزى بداخله ليوصل إلى المتلقي ما يريده، كما يحتوي كل نص/خطاب مهما كان شكله، خاصة الخطاب السياسي، على جدلية الظاهر/الباطن، والدلالة/المغزى، هذه الجدلية لا بد من وجودها داخل النص الخطابي، فهي عبارة عن جدلية ثنائية تحتل مكنون الخطاب السياسي.

فالنصوص عبارة عن لغم غامض، علينا فكها وإحالاتها، فهي ليست وهمية، وإنما علينا بالتأمل الذاتي داخل هذه النصوص لاستكناه ما يخفيه الكاتب/المنتج للخطاب، فتتعدد القراءات لنص واحد، فالنص كينونة لغوية، وتفسير اللغة لا يمكن أن يتم إلا بواسطة لغة أخرى، وإذا كان ملفوظ النص وراءه لافظ مُفْتَرَض، فإن ملفوظ خطاب المتلقي وراءه لافظ مُحْتَمَل، إذن، الحوار قائم بين استراتيجيتين كل واحدة وراءها مدلولات احتمالية نحو دائرة خاصة بها^(٢١).

عناصر الخطاب:

١ - المرسل: [المخاطب]: الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ به، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه، وهو الذي يوظف اللغة في مستوياتها المتمايزة، بتفعيلها في نسيج خطابه، ذلك التفعيل الذي ينوع طاقاتها الكامنة، ويدرك ذلك بإنتاجه خطابات، وهو أيضا سارد، لا يمكن أن يوجد سرد دون سارد، فالنص الروائي يشتمل على سارد إما

مباشر وإما ضمني بـ «الأنا» و«ضمير المتكلم» كذلك الخطاب السياسي فالمرسل يبعث باللغة كالصورة الآتية^(٢٢):



من هنا يظهر أن الخطاب هو مقول الكاتب، أو أقاويله/بناء الأفكار، فالمرسل يمارس ما يسميه (فيتجنشتين) بلعبة اللغة في تشكيل الخطاب.

٢ - الرسالة: النص الكلامي أو الشفوي أو الإيجائي أو أي شكل كان فهو يمثل رسالة موحية تتحرك لتصل إلى الطرف الآخر الذي يكون مهياً لمثل هذه الحركات أو الأفعال الخطابية، وهي تمثل الشفرة السرية التي يفك رموزها الاتجاه الآخر وهو المستقبل، وهذا النص الخطابي هو موضوع دراستنا هذه، فنقوم بتحليل هذا الخطاب وفكّه لتتعرّف على ما يريد إيصاله المرسل، كما أن هذه الرسالة/الخطاب لا يكون اعتبارياً بل له مناسبة خاصة بإنتاجه.

٣ - المستقبل/ المرسل إليه: [المخاطب] يعد الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمداً، فهو الذي يتلقى الشفرة وعليه فك رموزها ومعرفة الموجات التي أرسلت إليه وماذا يقصد من إرسالها، وقد يكون هذا المستقبل مرسلًا والعكس صحيح أيضاً. والمرسل (المخاطب) قد يكون مخاطباً، والمرسل إليه (المخاطب) قد يكون مخاطباً، هذا التناظر الخطابي يكون بين الأشخاص، فالمتكلم لا بد له من سامع، وهذا السامع قد يتكلم فلا بد له من سامع (المتكلم سابقاً)، وهنا تمثيل لبيان أن كليهما مرسل ومستقبل في الآن نفسه^(٢٣).



فتظهر روابط تلاحمية وأصيلة بين طرفي الخطاب، فهناك استراتيجية الخطاب لإرسال هذا الخطاب [المناسبة]، فالمرسل يراعي المناسبة لإنتاج خطابه؛ بوصفها محدداً سياقياً، كما أن له دوراً في نجاح عملية التواصل، وبين المرسل والمرسل إليه معرفة مشتركة هي أرضية يعتمد عليها طرفا الخطاب، إذ ينطلق المرسل من عناصرها السياقية في إنتاج

ثلاثة اللغة في الخطاب السياسي

خطابه، كما يعول عليها المرسل إليه في تأويله، وذلك حتى يتمكن من الإفهام والفهم، والإقناع والاقناع^(٢٤).

ولأجل المتلقي تتغير الأساليب والصيغ وطرائق التعبير، وكذا الضمائر ومفردات اللغة وأبنيته إذا كان الملقى جريئاً وجسوراً، فالمتلقي في الالتفات ناطق وصامت، فمراعاة نفسية المتلقي تحدث التنويعات والتلوينات والتحويلات في أشكال التعبير وبناء ودلالاته، ذلك أن المتلقي يفهم من الكلام ما لا يفهمه الملقى (المرسل).

علاقة الخطاب باللغة والمعنى

تعددت المعاني، واختلفت الألفاظ، فلم تعد المعاني مقيّدة، وإنما سبحت في تيارات عدّة، تطورت اللغة منتقلة في ثنايا هذه الحياة لمعاصرة كل جديد يظهر؛ فلا بد للغة أن تواجه هذه التطورات التي تلحقها صراعات متشعبة ابتداء من صراع الكلمة للكلمة وانتهاء من صراع الحضارات، فهذا الصراع أصل منشؤه اللغة فهو من أجلها ولأجلها.

واللغة هي أساس الحياة ومبعثها ومنطلقها، وهي تواصل حياتي، كما أنها ظاهرة معقدة وتعريفها أمر في غاية الصعوبة، فهي من الناحية النفسية سلوك معيّن يسلكه الفرد استجابة لحوافز معينة، كما أنها ظاهرة اجتماعية تتضمن حواراً بين أكثر من شخص واحد، فهي بهذا سلوك اجتماعي^(٢٥).

واللغة للتواصل البشري، فماذا نعني بالتواصل؟ التواصل: نقل خبر أو معرفة أو خبرة بواسطة أي لغة أو إشارات مُسنّنة بين فردين أو مجموعتين، أحدهما يكون باثناً للرسالة والثاني مستقبلاً ومفككاً لسنتها وتكون نتيجة ذلك التأثير في المستقبل أو إجراء تغيير ما في حالته^(٢٦).

«اللغة شكل وليست بمادة» كما ذكر دي سوسير، وهي في الأساس وحدة مستقلة ذات ارتباطات داخلية، أو لنقل في عبارة واحدة؛ إنها بنية «وتعد نظاماً صوتياً، فمادتها الأساسية الصوت، وليس أي شيء آخر، فلغموض اللغة ولصعوبتها لا يمكن الإلمام بها والإحاطة بها، فيمكن وصفها «أداة» يستعملها الناس للتعبير عن حاجاتهم - وصفاً مجازياً - أداة للتواصل الاجتماعي والثقافي والسياسي أيضاً.

فميّز العالم اللغوي دي سوسير اللغة بوصفها لساناً (Langue)، واللغة بوصفها كلاماً (Parole)، ومن هنا نتج علم اللغة الحديث، فبيّن سوسير اللغة إما أن تكون كلاماً منطوقاً أو مكتوباً، مقروءاً أو مسموعاً، أو إيماءات وإيحاءات، أو رموزاً وإشارات ودلالات، وكلها وسيلة لإنتاج التواصل ما بين الأشخاص أنفسهم وانتقال للمجتمعات والحضارات.

ويذهب الألماني الكبير لوسبرج (Lausberg) إلى: أن البلاغة تشير إلى اللغة، وهي الوسيلة القارّة التي يعبر عنها الكلام، فاللغة من دون كلام تصبح ميتة، والكلام من دون لغة لا إنساني؛ إذ إن اللغة والفن والحياة الفردية والاجتماعية تقدم نموذجاً واضحاً من التعالق الجدلي بين اللغة والكلام^(٢٧).

فاللغة عبارة عن جدلية واضحة في إرساء قواعد الخطاب، فالخطاب تسلية (الشعر) أو خطابات حول الصراع القائم على تحقيق السلطة والقوة، فقضية الخطاب قضية أزلية، بعيدة المدى، ليست من ولادة هذا العصر وإنما هي قديمة قدم اللغة والكلام، فتحققت على منابر أسواق الجاهلية ثم منابر المساجد، وانتقالا إلى منابر التلفزة والأقمار الصناعية واتساعا عبر الإنترنت.

كما أننا ندرك كغيرنا، أنه ليس باستطاعتنا التحدث عن كل شيء، أو عن أي شيء كان، فقد لا نسمح لأنفسنا بالتدخل حفاظا على خصوصية الآخرين، وليس باستطاعتك أن تصدر خطابا عن أي موضوع، فقد ارتبط اسم الخطاب بالسياسة ارتباطا وثيقا، علما بأن الخطاب عنصر شفاف ومحديد، وهو بحد ذاته موضوع الرغبة وهو ما نصارع من أجله وبه، وهو السلطة التي نريد الاستيلاء عليها^(٢٨). ونلاحظ أنه ليس كل مناطق الخطاب مفتوحة على مصاريعها بالدرجة نفسها، فمنها ما هو ممنوع علانية كـ «الرغبة/ الجنس، السلطة/ السياسة» والبعض الآخر مفتوح تقريبا، من دون إغفال أن الخطاب الحقيقي يتعلق بأمرين هما: الرغبة والسلطة.

ويطرح تساؤل ما حول اشتراك الخطابات ما بين المجتمعات على الرغم من اختلاف الألسن الكلامية عند المجتمعات، وعلى الرغم من الصراعات واصطدام الحضارات، لكن هناك قواسم مشتركة في الخطاب فمنها: خطابات تقال عبر الأيام والمناسبات، وخطابات تزول مع قيامنا بالفعل نفسه، وخطابات لا تزول، قيلت وما تزال تقال في أي وقت كان وهي الخطابات الدينية والقانونية، والخطابات الشعرية والنثرية المسماة «بالنصوص الأدبية» وإلى حد ما العلمية.

فكما أنه في المجتمع الواحد تتفاوت النصوص [الخطابات] فالأولى أن تتفاوت على مستوى أعم وأشمل، ومستوى المجتمعات/ الحضارات ككل، وكما قالها الجاحظ: «إنَّ الناس أنفسهم طبقات كذلك اللغة لها طبقات».

إذن، فاللغة وسيلة للتواصل البشري في مختلف المجالات، فوظيفتها الأساسية هي التواصل ولا بد لتحقيق هذه المهمة من تأثير وتأثير عند استخدام اللغة لإكمال عملية التخاطب.

وتختلف اللغة في خطاباتها حسب المشكل أو الموضوع الذي نريد أن نبثه أو نرسله إلى الآخرين، فالجوهر المادي هو الذي يحدد رسم الخطاب أو مخططه [المادة المكونة منه الخطاب] ليحدد بعدها نوعية الخطاب: ثوري، منهجي، تربوي، نفسي، سياسي، شعري، نثري، ثقافي، ...

ويقرّر ألتوسير أن الكلمات في الصراع السياسي، والأيديولوجي، والفلسفي، هي أسلحة ومتفجرات، أو مهدئات، أو سموم، فنطرحها من خلال هذه الألفاظ والكلمات المستخدمة، فالخطاب يعد شكلا من الأشكال الخاصة للأيديولوجيا^(٢٩). هذه اللغة ليست جامدة لنموذج

ثلاثة اللغة في الخطاب السياسي

واحد، وإنما نحن نشكّل هذه اللغة ونضعها في القالب الذي نريد تبعا للموقف الذي نعبر عنه، فنحن إذن نتلاعب بالعبارات والجمل [الدال]، وتفهم حسب ما أوردناها [المدلول] فهذه الألفاظ والعبارات متحركة كأى مادة فيزيائية، أو كيميائية، خرجت من نطاقها الضيق وأصبح لها عالم خاص بها ونظام متكامل، كما لها عالم قائم بذاته؛ لما فيه من خواص بنيوية ذات أنظمة تزامنية، من هنا انطلقت مُشكلة الخطاب وتطورت اللغة تداعيا لهذه الحياة، وهناك شفرة لغوية تضيي بنية محددة على الأنظمة اللغوية.

إذن، فاللغة ليست القدرة على التحدث ولا هي الكفاءة المشتركة على التكلم، بل تشير إلى البنية الخاصة للنسق الخاص، وتهتم بالبنية والنسق، فهذا العالم ليس طوع معرفتنا أو خاضعا لأمرنا، فلم يوجد دون رموز أو دلالات، ونحن علينا فك هذه الرموز ومعرفة هذه اللعبة، لعبة الدلالات، فهذا الكون به من الأسرار التي علينا اكتشافها، وهذه السلطة لا تهى خطاباتنا وفقا لمصالحنا ورغباتنا، «فالخطاب ليس إلا لعبة، لعبة كتابة في الحالة الأولى، ولعبة قراءة في الحالة الثانية، أما الثالثة فلعبة تبادل»^(٣٠).

فهذا النص الخطابي عبارة عن نص كتابي أو شفوي، والنص لغة، لكنه لغة تتجاوز نفسها، وتتراوح عن مألوفاها، فهي كما يقول جان كوهن: «انزياح محدود ومقصود في الوقت نفسه يجعل من الأسلوب لغة ثانية في داخل اللغة العامة، فاللغة ليست أداة للإيصال، ولا أداة لنقل المعلومة فقط، فدورها كما يقول كاسيرير: «لا يتحدد أبدا بإيصال أفكار سابقة، لكنه يتحدد بأنه وسيط ضروري لصياغة الفكر، ولصيرورته الداخلية، فاللغة ليست ناقلة للفكر في الشكل الكلامي فقط، بل إنها تسهم جوهريا في الفعل الأولي الذي يركبه، وإنها أيضا لا توضع خارج الحركة الداخلية للفكر، ولكنها موضوع بالنسبة إليه ومثير، وسبب محرك وعلى درجة عالية من الأهمية، ثم إن الفكر لا يوجد سابقا على اللغة، إنه يتشكل فيها وبها»^(٣١).

واللغة (Langue) عبارة عن الشفرة التي تنتج الخطاب [الرسالة] من خروجها من الصورة الحياتية للغة لدخولها في نظام مكتف بنفسه ذي علاقات داخلية، من هنا تختفي وظيفة اللغة بوصفها خطابا، كما يرى فتجنشتين^(٣٢).

وتحدد اللغة ببلاغة الخطاب: «فن القول بشكل عام»، فحين التكلم تتعيّن مراعاة فن القول، لتصل إلى قلب المتلقي وعقله، وهي برأي لوسبرج (Lausberg) نظام بنية من الأشكال التصورية اللغوية، يصلح لإحداث التأثير، فهي تداولية في صميمها؛ إذ يكمن الاتصال بين المتكلم والسامع^(٣٣).

والخطاب لعبة الكلمات ومن ثم لعبة تفسير هذه الكلمات؛ لكي يقنع الزعيم السياسي لا بد له من الغموض في كلامه وعدم البوح الكامل بما يحدث - في حالتي الحرب والسلام - للحفاظ على مكانته بين أعيان ممثليه.

وبما أنها تتسم بالغموض فهي ليست مسألة على الإطلاق^(٣٤)، فهي ناتجة عن صدامها بعضها ببعض؛ ولهذا السبب كان لها بعد سياسي لكل مرة تستخدم فيها الكلمات والعبارات في الكتابة أو الكلام، ف«إنَّ الكلمات تغير معناها من خطاب إلى آخر، وإنَّ الخطابات المتصارعة تتطور حتى إن كانت هناك لغة يفترض أنها مشتركة، وإذ يقرر بيشو هذا؛ فإنه يرى أن اللغة ليست هي ما يحدد معاني الكلمات والعبارات في الخطابات؛ فالواقع أن المعاني جزء من المناخ الأيديولوجي»^(٣٥).

ولعل نوعية الخطاب هي التي تفرض على الكلمات معانيها، ففي كل مرة لها دلالات مختلفة «الكلمات تغير معناها وفقا للمواقف»^(٣٦)، ومن هنا ظهرت لعبة الكلمات والدلالة وسيميولوجيا الألفاظ.

وأطلق بيشو على العلاقات التي يرتبط اللفظ أو التعبير أو الجملة مع غيرها في الخطاب المسماة «بالعملية الخطابية» (discursive process) وهي العملية التي تحصل بها الألفاظ على المعاني، كما أكد بيشو أن الألفاظ تستطيع أن تغير معناها من خطاب لآخر، كذلك يمكن للكلمات المختلفة في نطاق الخطاب الواحد أن تحمل المعنى نفسه^(٣٧).

كما أن الخطاب شيء من الأشياء، وهو ككل الأشياء موضوع صراع من أجل الحصول على السلطة، فهو ليس فقط انعكاسا للصراعات السياسية، بل هو المسرح الذي تستثمر فيه الرغبة، فهو ذاته مدار الرغبة والسلطة، وتكمن حقيقته في موقعه، وفي استراتيجية المتحدث به، بحيث يذهب الاهتمام إلى الذي قاله ولماذا قاله؟ من الذي يمتلك الخطاب، ولأي هدف أو غاية يستعمله؟ هذا الذي لم يكف نيتشه أن يوصى به^(٣٨).

واللغة على اختلاف مادتها هي من نسيج قائلها وصنعه، فالمادة هذه هي التي تحدد نوع الخطاب كما هي التي تحدد متلقيها، فهو يتأثر بمقدار النصوص الواردة فيه بالمدلولات الرمزية الغامضة المبهمة، فكلما كان هذا الغموض والإبهام فيه كان هذا الخطيب سياسيا محنكا مع حفاظه على بلاغة الخطاب. وليس كل شيء خطابا، بينما عند فوكو الخطاب قائم بحد ذاته على البنية الجوهرية، فحتى المناجاة الفردية (dianoia) خطاب الشخص المتوحد، حوار الذات، حوار الروح مع نفسها، تعد خطابا؛ لأن لها دالا ومدلولا^(٣٩).

إذن، اللغة هي مسكن الوجود وفي مسكنها يثوي الإنسان ومن يفكرون ومن يخلقون الكلمات، هم حرس هذا المسكن - هيدجر -^(٤٠)، وهي محاكاة من الكينونة، كينونة هذا الشخص الذي يستعملها، فهي كحركة المد والجزر تتقدم وتتأخر، كما أنها تمتاز بالاختراق والتجاوز والتدمير؛ لذلك لها أثرها في الخطاب، على الرغم من أن الخطاب يعكس المعيارية والنظام والمؤسسة، فهو من الركائز التي يقوم عليها اختراق الحواجز فعماده الطابع العقلاني.

ثلاثة اللغة في الخطاب السياسي

وتظهر فاعلية الخطاب في القدر الذي تحظى به من التأثير في نفوس الناس، وفي القدر الذي تعمل فيه على تشخيص المشكلات بدقة، وعلى وصف الحلول بمنطق علمي سليم^(٤١).

أهمية الخطاب في توجيه المعنى السياسي

عرفنا أن هذا الخطاب هو أداة للسلطة لإدارة القوة ولنيل الآخرين، وما للخطاب من دور في تسيير الأمور وتوجيهها، فهناك خطاب سائد ليحقق العدالة من وجهة نظر مخاطبيه، وخطاب مضاد أو مواجه له، ولكل خطاب كلمات لها معناها وعلاقتها بالخطاب، فالكلمات تتغير معناها وفقا للخطاب، ونسبة إلى المعنى الذي يريد إيصاله المخاطب إلى المخاطب. وقد ورد في كتاب الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَّ الْخُطَابَ﴾ والمقصود بها أن الله تعالى مكن نبيه داود - عليه السلام - من السلطة الكافية التي ضمنها خطابه لاستمرار حكمه في الأرض، فالخطاب سلطة، ومنذ القدم ارتبط الخطاب بالسياسة وارتبطت السلطة بالخطاب.

ولا يفصل فوكو بين الخطاب وسلطة الخطاب «إن الفصل الذي يمكن الحديث عنه هو فصل منهجي، ولكن في إطار نظرة تكاملية، تناقش الخطاب في مختلف مستوياته اللغوية والمعرفية والسياسية والأخلاقية، مستويات تعكس مفهومه وامتداداته وعلاقاته بحقول وممارسات معرفية وسلطوية وأخلاقية، وهو ما يشير إليه فوكو في إرادة المعرفة^(٤٢).

من هنا جاءت أهمية هذا الخطاب، فهل نقول: «إن الخطاب سلطة أو أن نقول إن ما وضعه فوكو ليس الخطاب، بقدر ما مضمونه المتمثل في الممارسة السلطوية»^(٤٣) ينبغي أن نتصور الخطاب بوصفه مجموعة عناصر خطابية تعمل في استراتيجيات مختلفة: الخطاب ينقل السلطة، ينتجها، يقويها، لكنه أيضا يلغمها، يفجرها، يجعلها هزيلة، ويسمح بإلغائها^(٤٤) من هذا الكلام تظهر العلاقة، علاقة مزدوجة، مرتبطة، ما بين الخطاب والسياسة أو الخطاب والسلطة، علاقة وطيدة تاريخية في توجيه الخطاب للمعنى السياسي وللممارسة السياسية، فمنذ الأزل يعمل الخطاب على توجيه المعنى وإبراز سلطة الخطاب في ذلك، فلا سلطة إلا سلطة الخطاب، فهو الذي يفرض سلطته على الآخرين.

فالخطاب سلطة قائمة بذاتها، سلطة مادية تملك القوة والقدرة، تتضمن مخاطر، مخاوف، وتحمل صراعات، وتسفر عن انتصارات، وقد تسفر عن هزائم، من تحرر واستعبادات، ويؤسس هذا الخطاب وجوده المستقل، وقد يملك القوة لتحريك بنيان العالم، في شن حرب، بهذا يخيف الذات، المؤسسات، المجتمعات فنرى ذلك جليا في المجتمع الغربي، عن طريق مراقبة الخطابات، وغالبا بعدم نشرها [منعها] إن كان الخطاب موجها ضدهم، أو لإكساب الرأي عندهم لمصلحة الخطاب، فيتم مختلف الإجراءات حفاظا على أمن مجتمعهم حين سماع مثل هذه الخطابات، فهي خطابات رهيبه تثير الذعر في الذات السلطوية، بالرغم من أن

الخطاب في ظاهره شيء بسيط، لكن أشكال المنع التي تلحقه، تكشف باكرا وبسرعة عن ارتباطه بالرغبة والسلطة فتكون أهمية الخطاب بأن يوجه الكلمات بمعانيها إلى ما يرمي إليه من مبتغى ونفوذ، منتج لبلاغة الخطاب.

ويبرز الخطاب على أنه المدار الحاسم للسلطة، وقد يكون هذا الأمر الذي جعله يدخل في دائرة الممنوعات والتابوات (Tabous)، ووضع الحواجز بين الخطابات وبين السلطة والرغبة، فلا يصدر هذا الخطاب لأنه محمّل بكاهل مثقل من الإعاقات في ذلك الأمر، فنرى التقليل من الخطابات وعدم تنويجه أمرا محبذا، فيوجه الخطاب إلى هذين الموضوعين على الأكثر - الموضوعين الأكثر حظرا على الجميع، وهناك مقولة العرب في البلاغة: «مراعاة مقتضى الحال»، فالكلام يجري حسب الموقف الذي يحدث، أو الذي يثير الكلام، ويثير اللغة، فهذا يعبر عن مشكلات، قضايا، أوضاع اجتماعية، سياسية، اقتصادية، أيا كانت، فهو يعبر كما يلزم وكما يجب، فيوجه الخطاب للمعنى السياسي بسياق مفردات وألفاظ بوصفها حلولا، قرارات لتجذب الأسماع، فهو فن التوصيل إلى أكبر عدد ممكن، فالمعاني ليست جامدة بل هي متحركة. فالرموز داخل هذا النص هي التي تضعه تحت أنواع الخطابات فيفسر ضمن الدال والمدلول، وتحسين القبيح مثلا.

وهذه صياغة إذا أجيدت وأحسن بناؤها، فكيف لا تكون كذلك، والخطاب السياسي ابن هذا الموقف، وعليه تقوم هذه الحياة، فعلينا فهم مراعاة مقتضى الحال على أنها القدر الذي يمثل الواقع، أو ينبثق منه، أو يعمل على معالجته، فإذا لمس مشاعر الناس وأحاسيسهم أصبح يراعي بذلك مقتضى الحال، وهذا هو شأن البلاغة التي تجيش مفاهيمها في صدور الناس، ثم تنطلق على أسنتهم، كالشعارات والعبارات التي تختزل الواقع وتؤيده. من هنا ينتقي المخاطب كلماته وعباراته ويستخدم الماضي ليحقق المستقبل في ذلك، وإرضاء لتأييد الجماهير .

وعلى الخطاب السياسي أن يتفاعل وأن يحس الآخرون بوجوده، وعليه أن يحترم المستقبل ويحترم رأيه، وعلى الخطيب أن يكون بليغا يمتلك المقدرة على الكلام في أي موقف وضع فيه .

علاقة اللغة بالسياسة:

لأن اللغة هي أداة تواصل حياتي، وتخرج من النطاق الضيق إلى النطاق الواسع أصبح لها علم مستقل، والسياسة سلوك كالسلوك الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وكلها لها تأثير وتأثر، فهي منظومة يؤثر بعضها في بعض، فنوقشت الخطابة والسياسة منذ أرسطو في كتابه «السياسة» و«الخطابة»، وظهر حقل الاتصال السياسي بوصفه مجالا مستقلا عام ١٩٥٦م، في كتاب «السلوك السياسي Political Behavior»، كما أشار نيمو وساندرز (Nimmo & Sanders)^(٤٥) فاللغة تؤدي دورها الرئيس في التنشئة الاجتماعية كذلك تسهم في صنع الشرعية للنظام

ثلاثة اللغة في الخطاب السياسي

السياسي، وهذه اللغة هي التي تشرّع القوانين والدستور والأنظمة، وهي التي تصوغ البنود السياسية والاتفاقيات، وتثير إما السلم وإما الحرب.

وهذه اللغة حتما هي سياسية؛ لأنها تتجاوز مراحل التخاطب العادي، والتعبير الرمزي، والأدوار الاجتماعية، تخرج من إطار الثقافة؛ لتعزز وتغير وتطور، كما تعمل على حفظ الوضع الراهن، وتعد سلاحا من أخطر أنواع الأسلحة النفسية للسيطرة على الأفكار والأشياء، وما أمر الدعاية بالخطب والإعلانات بالأمر الهين، وفي الانتخابات النيابية والمحاكم غالبا ما يكون الجانب الظافر أقدر الجانبين على استخدام سلاح اللغة^(٤٦).

فالساسة «لعبة الكلمات» فيتقلد السياسيون السلطة من خلال تلاعبهم بالكلمات ودرجة الإقناع عندهم، ومدى تحقيق أهدافهم وتعزيز مكانتهم والاستيلاء على الرأي العام لهم؛ وبذلك لأنهم يوظفون بذكاء أو بدهاء الرموز اللفظية في لغتهم السياسية، وهي ليست سياسية بألفاظها، بل بالمعلومات التي تنقلها، وبالمحيط الذي يحدث فيه الاتصال، فالمسؤول السياسي يصدر خطابه بكلمات وضمن معلومات ليصل بها مع الآخر ويقنع بها الآخر، فيحتاج إلى تلاعب بالكلمات.

كما أنها تعبر عن مدى ثقافة المجتمعات ومدى تطورها وراقيها، واللغة هي أيضا تبين مدى رقيها واتساع مفرداتها أيضا باتساع مجالات استخدامها، ومن ذلك استخدام اللغة في السياسة، لتدل على تطور المجتمعات كما تدل على الأنماط والسلوكيات المتبعة، فتتفاعل اللغة بالسياسة لبعث الثقافات، لتكوين مناطق نفوذ ثقافية واسعة تتجاوز الحدود الضيقة للقوم أو الحدود السياسية للأمة القومية^(٤٧). فاللغة منبع لحرية التفكير والتعبير عن الذات، فالدول النامية لغتها السياسية - عادة - ضعيفة، على عكس الدول القوية؛ وذلك لأن الخطاب مرتبط بالرغبة والسياسة. كما أن الثقافة مرتبطة ارتباطا عميقا باللغة، إذ فقدت الثقافة وظيفتها بوصفها وسيطا أو وسطا ذهنيا فإن هذا الانعدام يحط من الدلالات الرمزية وذلك لا يمكن للسياسة إلا أن تتجلى مباشرة بوصفها مجابهة مسلحة وحربا أهلية، ولا أحد ينكر أن هذه هي السمة الغالبة على النزاعات الاجتماعية - السياسية في البلاد العربية والعالم الثالث.

وقد أجمع علماء الأنثروبولوجيا على أن اللغة جزء لا يتجزأ من حضارة الأمة، واللغة كحضارة الأمة تكتسب بتعلم أنماط سلوكية واسعة تقع في إطارها وتفسر على أساسها الأحداث، كما أنها عرضة للتبدل؛ نتيجة التراكم الضخم لتجارب الشعب^(٤٨).

ونستطيع القول إن: «كل السياسة كلام، وليس كل الكلام سياسة»، وفي هذه الدراسة نبحت عن علاقة اللغة بالسياسة وأهمية الاتصال السياسي، الاتصال/اللغة والتي تصبح خطابا، فتلك المقولة تجعلنا نتعرف على ماهية الاتصال السياسي: بث للرسائل التي لها أثر، أو يقصد أن يكون لها أثر في توزيع أو استخدام السلطة في المجتمع، ويقول رولوفز (Roelofs): السياسة

عبارة عن كلام، فجوهر التجربة السياسية في أنها نشاط اتصالي بين الأشخاص، «وكما يعرف بأنه» العملية التي تقوم خلالها قيادة الأمة وإعلامها ومواطنها بإضفاء معنى على الرسائل المتعلقة بسير السياسة العامة، ومن ثم تبادل هذا المعنى»^(٤٩).

كما تقول غريبير: «إن الخطاب السياسي مهم للغاية، فهو يتعامل مع المشكلات الكبرى للحياة العامة، ويصفها ثم يشكلها، وأصبحت الصور اللفظية المصدر الرئيس لفهم الواقع السياسي، وأساس العمل الرسمي أو عدم العمل، وأساس شعور الشعب بالتفاؤل أو التشاؤم، بالرضا أو السخط، حول سير الحياة السياسية^(٥٠). لا بد، لأن تسيير هذه الحياة بأمان أن تكون اللغة السياسية مصوغة بشكل ملائم، فمن دون لغة تصبح الأفكار خرساء وصمًا، غير قادرة على توليد الفكر وإيصال المعاني.

وبمقولة العرب: «لكل مقام مقال»، وكما قال أرسطو أيضا: «لا يكفي أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال، بل يجب أن يقوله كما ينبغي»، من هنا تؤثر اللغة تأثيرا بالغا في فهم الحقائق والأفكار وتفسيرها.

ونستتج خصائص اللغة السياسية، كما هي عند غريبير:
مضمون الخطاب، مرسله، وسائل انتشاره، متلقيه.

فالخطاب السياسي يتعلق بمضمونه بقضايا الشعب، وتتراوح هذه القضايا لتصل إلى قضايا كبرى، نحو: أسعار النفط، الحرب، السلام، والجمهور المستهدف من الخطاب إما جماعة سياسية أو قرية أو قد تكون موجهة إلى العالم بأكمله.

ومصدر الخطاب مهم في العملية السياسية، فالذين يقدمونه هم المتميزون، وهم الذين يصنعون الأحداث ويرسمون السياسات ويخططون لها ويصدرون القرارات ومنهم تصدر الخطابات.

أما انتشار الخطاب فيؤثر إذا انتشر عبر وسائل الإعلام ليصل بذلك إلى أكبر عدد من المشاهدين أو المتلقين، لتوجه إليهم الرسالة السياسية، وهذه الرسائل/الخطابات، قد تصبح شعارات يعتقونها، وقد تمثل لهم مخطط حياة، وتصبح متداولة بين الناس، يناقشونها وتقوم الندوات والمؤتمرات من أجل هذه الرسائل، وهناك خطابات توجه فقط إلى قادة الرأي (Opinion Leaders) مثل الخطابات التي وجهها أسامة بن لادن لجورج بوش بعد أن نص بوش على أنها حرب صليبية.

واللغة السياسية هي وسيلة لتحقيق أهداف نبيلة أو شريرة، ويمكن أن تقول الصدق، ويمكن أن تردد أكاذيب متوحشة مصادمة للمنطق، وأكاذيب قد تنتشر وتتلقها أفواه الناس ووكالات الأنباء والقنوات الفضائية؛ لأنها صادرة عن مسؤولي دول عظمى أو أشخاص أقوياء بارزين على المسرح الدولي، كما أن اللغة السياسية وسيلة مناسبة للتحكم وتحقيق الأهداف

تعلات اللغة في الخطاب السياسي

الاستراتيجية للأحزاب والحكومات ووسائل الإعلام، والسياسيون عبر سيطرتهم على الخطاب السياسي يتحكمون في الناس، ولا يحتاجون إلى «العنف الجسدي» لتحقيق هذا التحكم، بل باللغة السياسية، ويمكن إذن تدعيم النظام القائم وتجذير فلسفته وأيديولوجيته، وذلك ما لم تفقد اللغة دورها وتراجع قدرة السياسي على التحكم وتقبل الجماهير على منظومة لغوية سياسية^(٥١).

واللغة لا تقول إلا ذاتها، ولا تعنى من حيث هي تقول ما تقول، إلا بذاتها، ولا يعنىها شأن القائل، كائن من كان، ولا خطر الموضوع كائن ما كان، فهي حسبها أن تقول، ورجاها فيما تقول أن تكون أدت الغرض الذي جعلت ميسرة له، فاللغة هي موضوع نفسها، وهي الأداة الدارسة لموضوعها في الوقت ذاته، وبغير هذا المنظور، تنظيرا وتطبيقا يستحيل التعامل معها، ولذا فإن كل كلام عن اللغة يقع خارج اللغة فهو كلام لا شأن للغة فيه، فاللغة نظام كما يقول اللسانيون، ولأنها كذلك فإنها لا تعترف إلا بترتيبها الخاص، وإن أي معرفة مهما كان نوعها ومجالها لترتبط باللغة ارتباطا وثيقا، وإنها لتخضع في شروط تشكلها إلى اللغة نفسها نظاما وترتبا، وهكذا يبدو لا راد له، إن أي كلام عن اللغة لابد أن يكون باللغة، وفي اللغة، ولا يغادرها إلى خارجها، ولا يستعين بغيرها عليها تفسيراً وتحليلاً^(٥٢).

فنحن كثيرا ما نورد عبارة: «تعال إليه بالسياسة»، نقصد كلاما منمقا جميلا ناعما لكسب وده، فقد يولي السياسي اهتماما لموضوع أو لشخص ما، فيبرز الموضوع أما إذا توارى في الظل بسبب تجاهل السياسي، فإنه لن يرى النور، وقد يتحكم السياسي في انتشار المعلومات، فيحاول أحيانا أن يتجاوز ويخفي أخطائه وانحرافات الشخصوية، وقد يخفي عن إنجازات منافسيهم أو معارضيتهم، ليحافظوا بذلك على صورتهم^(٥٣). فيتلاعب السياسي بالكلمات من خلال الأجوبة التي يقدمها، وذلك بأسلوب غامض، وبالأحرى يتحدث ولا يقول شيئا، ويشير إلى ذلك جالبريث (Galbraith) إلى أن بعض السياسيين يستطيعون من خلال مهارتهم الخطابية أن يجعلوا الجمهور يغفل عن كونهم يتفادون ويتجاهلون أسئلته الحقيقية^(٥٤)، وهذا السياسي لا يدلي بمعلومة مهمة أو محددة، فنرى بعض السياسيين لهم لازمة محددة يرددها باستمرار، فيجعل المتلقي في حيرة من أمره، ماذا يريد هذا السياسي إبلاغه.

ذكر بيرك (Burke) أن الألفاظ تدل على الأشياء وكثيرا ما ننسى أن العلاقة بين الرمز والمرموز إليه هي علاقة يبتكرها الإنسان^(٥٥). فهذه الألفاظ والمصطلحات تمثل سهاما نافذة في جعبة السياسي. لكن كلما كانت المصطلحات بسيطة مختصرة، يزيد تأثيرها وانتشارها، فالشعارات مثلا تعد من أسهل العبارات حفظا وأعمقها أثرا في نفس المتلقي، من هذه الشعارات: «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» و«حرية التعبير لا حرية التدمير» و«سنقرع أبواب الجنة بجماجم اليهود» مثل هذه الشعارات تصف نظرة الشعب ومواقفه وآراءه وتصرفاته.

فهذه اللغة تدفع الجماهير إلى تغييرات حاسمة وتطورات ملحوظة من خلال اللغة المستخدمة والألفاظ القوية التي تدعوهم للثورة بأسلوب المناشدة، والاستمالة بطريقة مقنعة، كما تدفعهم اللغة السياسية للشعور بالانتماء أو الوحدة أو بالغضب أو بالحماسة، ونلاحظ أن الزعماء السياسيين يحاولون دائما إشاعة الأمل والأمن حتى في حالة الحرب، كما تؤكد ذلك غريبر: يتم الإعلان عن التغييرات السياسية الكبرى بتعبيرات لفظية، وقد تبدأ ثورة بصياغة لفظية محرضة مبنية لمعاناة الشعوب المضطهدة^(٥٦). كما أننا نلاحظ عند الزعماء السياسيين بوجود لعبة الكلمات فيعترفون عن سوء بعض الأوضاع بكلمة «نعم» ويستدركون هذا الأمر بـ «ولكن»، لتصبح اللغة السياسية عبارة عن وسيلة حيوية من الوسائل الشرعية لنظام سياسي، فقد تظهر في الخطاب كلمات تدغدغ مشاعر المواطنين بكلمات رومانسية لاستمالة عقولهم إلى مستقبل بعيد المدى في تحقيقها، كما أنها لغة ملتبسة، غامضة، مبهمه، ليست باللغة الصريحة، وهي حافلة بالمعاني المتعددة والتفسيرات الهادفة إلى استثارة النفوس لخدمة السياسة.

ويكون إثبات اللغة السياسية بتجسيد عملي للحفاظ على اللغة الأصيلة في ظل وجود اللغة الأوروبية [الدخيلة] صعوبات تواجه الحكومات ضمن هذه اللغة الأخرى، فالسياسة تحتاج إلى لغة بارزة تدل على موقف سليم تجاه هذه الدولة الأوروبية فهي مناصرة لها، أو لتقبل هذه الدولة الأوروبية بإيجاد فرص عمل؛ فتصبح هي اللغة السائدة «كالفرنسية في تونس، والإنجليزية في الهند»^(٥٧) فاستخدام العربية في تونس بطيء وغير متواصل؛ لأن الفرنسية هي المستخدمة، فتناضل الدول لإرساء أسس اللغة الدخيلة من ناحية سياسية للحفاظ على الود والتواصل ما بين المجتمعات لكسب فرص عمل، وهذه اللغة هي التي تتحكم بالسلطة وبزمام الأمور وتنتشر المعلومات كما تشاء.

«على الفرد أن يستجيب في النهاية للغة وقوانينها وسلطتها»^(٥٨).

والخطاب السياسي نص ذو سمات مركبة من الإيحاءات المعنوية، لها أبعادها، ولها مميزات، تفرقها عن غيره من الخطب داخل اللغة الواحدة^(٥٩).
وظائف اللغة السياسية:

١ - نشر المعلومات **information dissemination** هذه من أهم الوظائف، فهي توضح طبيعة السياسات التي ينتهجها السياسيون، إما بطريقة مباشرة أو ضمنية (تلميح)، فالرمز أكثر تعبيرا وتصريحا من المباشرة، فمثلا عبارة «الخلافة» تشير حفيظة المسلمين كافة.

٢ - ترتيب الأولويات **setting-agenda** يشير هذا المفهوم إلى قدرة الاتصال على تحديد الاهتمام الشعبي بالقضايا والتأثير فيما يفكر فيه الناس، فتكون إشادة زعيم بعمل ما تثير حماسة شعبهم.

تمثيلات اللغة في الخطاب السياسي

٣ - التفسير والربط **linkage & interpretation**، قد يجذب السياسي الشعب في قضايا معينة ويفسرهما ويربطها في إعلانات لتشيد بماذا سيفعل من أوجه هذه الوظيفة، توظيف النصوص الدينية، أو الأقوال المأثورة، أو الأحداث التاريخية لتسويغ أفعال أو مبادرات سياسية.

٤ - تصور المستقبل والماضي **past & projection to future**، يستخدمها السياسي بلغة باهرة ليستعيد فيه زهوه وأمجاده لإثارة المشاعر والاستشراف على المستقبل الجديد وهذه مستخدمة في برنامج الانتخابات فينظر إلى ما كان من دمار وفساد وينظر بعين التفاؤل والإصلاح على المستقبل، فالشمس لا بد أن تشرق يوما من هنا ويستشرف المستقبل أيامه ولحظاته ليضع المتلقي، ماذا سيفعل وكما التغييرات التي ستحدث .

٥ - الحث على العمل **action stimulation**، هذه الوظيفة تتم بالإعلانات والاستمالات وعن طريق الرسائل المقنعة بالمناشدة وبعض الكلمات التي تحرك الإنسان أيا كان هذا العمل [إيجابيا/سلبيا]^(٦٠).

اللغة = الاتصال، وهذا الاتصال [السياسي] يتكون من رموز، رموز سياسية تمنح اللغة ثوبا جديدا مختلفا عن أي ثوب آخر، فهي عند لانج ولانج (Lang & Lang) هي تلك الكلمات، والأفعال، الصور، الأحداث التي تثير الولاء أو تشجع على الطاعة أو تؤكد دعوى أو تبررها أو تعد بالخلاص منها.

فكما أن للأزياء الموحدة رمزا تعبر عن ثقافة المجتمع أو عاداته وحتى قد يدل عن دينه، فالحجاب رمز للإسلام، والصليب رمز للمسيح، وغيرهما كثير. وكما قد يرمز أشخاص لشعوبهم، كعمر المختار رمزا لليبيا وغاندي رمز الحرية المطلقة (الهند)، عبد القادر الجزائري، صلاح الدين الأيوبي وغيرهم.

ولا يصبح هذا الرمز ذا مغزى إلا إذا كان يحمل معنى محددًا يشترك في فهمه أفراد المجتمع، فيقول ميد (Mead): «إن الرموز الحيوية ذوات المغزى (Significant Is Symbol) تنتج عن تبادل الأدوار، أي عن عملية التفاعل الاجتماعي. والسيكولوجية الاجتماعية^(٦١)».

الدراسة التطبيقية

تطبيق الخطابات

يدرس هذا المبحث الخطابات ما بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، من حرب ضد ما يسمى «الإرهاب» فكان هناك ديبلوماسية سياسية معينة في خطابات جورج بوش، وبلير، ورامسفيلد، وأسامة بن لادن، وصادق حسين، وأتباع أسامة (الملا عمر والظواهري) ودارت مفاوضات تفاعلية عن ماهية السيناريو الذي يديره من منظور علم اللغويات اللسانيات الاجتماعية والسياسية.

ويهمنا في تطبيق الخطاب بلاغة الخطاب وقوته في الدفاع عما يرمي إليه من مطالب، فهو يتمثل بالفعل الفردي لتملكه هذه اللغة التي يدخل بها الكلام؛ إذ إنَّ الخطاب هو المكان الذي يتكون فيه فاعله، ومن خلاله يبني الفاعل هذا العالم الخطابي ويبني ذاته أيضا، فهنا ازدواجية ما بين الفاعل وهو المنتج وما بين الناتج عنه (الخطاب ذاته). ودرجة مستوى تلاعبه بالكلمات ومدى إقناعه للمتلقي، فالخطاب لا بد له من شفرة [رموز]، هذه الشفرة الدلالية علينا فكها وتحليلها لإبراز لغة الخطاب، فهل تختلف لغة الخطاب السياسي - بالذات - عن اللغة التي نتكلم بها [التخاطب العادي] أو اللغة الأدبية، أم هي لغة واحدة بأسلوب واحد، بالأدوات نفسها مع اختلاف المعاني؟

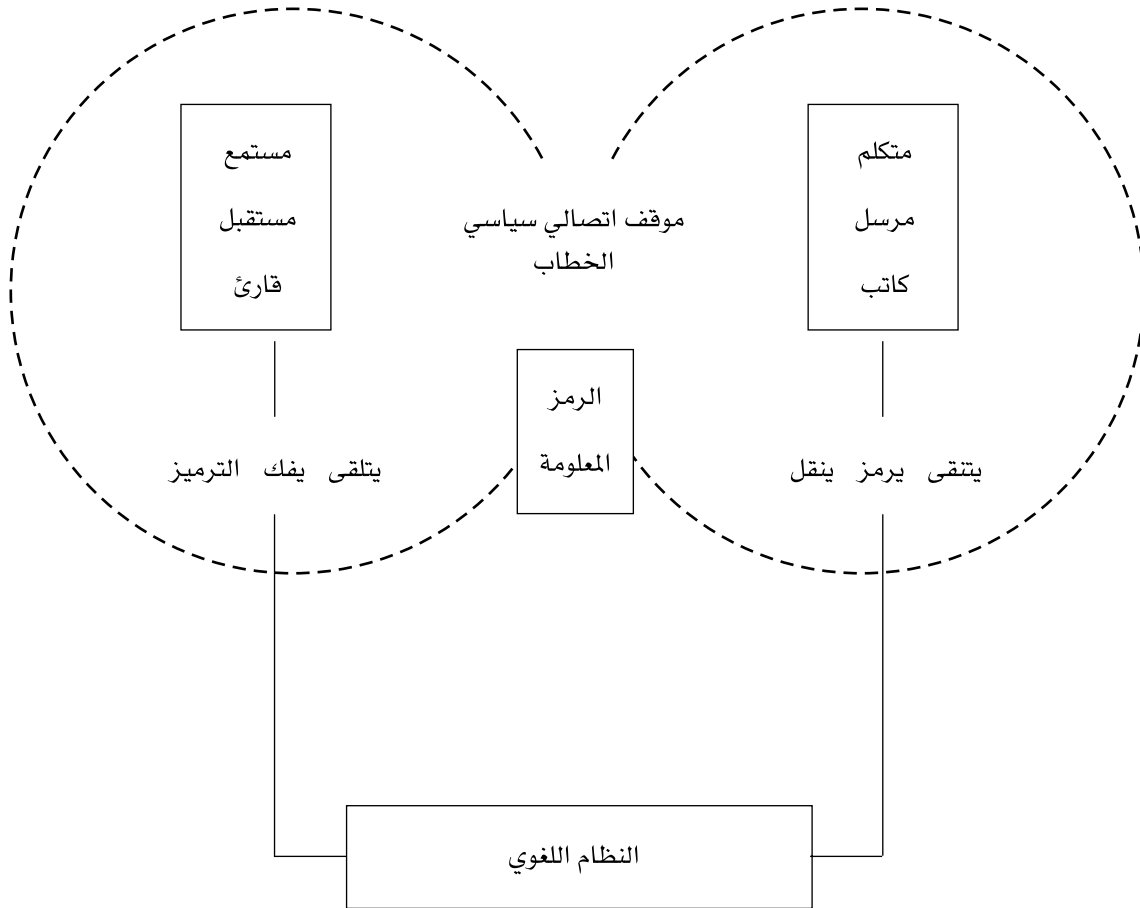
وسنأخذ فاعل الخطاب على أنه هو مصدر الخطاب، فنحن نعرفه من خلال نصه الخطابي - أي بالكيفية التي يقدم بها نفسه في الخطاب - دائما ما تكون مزيفة كما يعرفها المحللون، فهذا الفاعل للخطاب إذا اختلفت «الشفرة» في كلامه، يعني تغييرا في الموقف «تماهيا Identification» مع الشخص الآخر^(١٢). وينقسم الخطاب إلى:

١ - خطاب مباشر: يظهر صوت فاعل الخطاب مباشرة يختار الضمائر والأزمنة والأمكنة ويغير بها كيفما شاء، فهو الذي يتكلم بلغته الخاصة .

٢ - خطاب غير مباشر: فهو إعادة صياغة الكلام بطريقة غير حرفية، يتطلب تغيير الأزمنة الفعلية، وتعديلا للضمائر وللإشارات، وقد يقتطع بعض أجزائه، ولكنه يتوخى الدقة في النقل والكلام محافظا على هوية الخطاب، ودعت الحاجة إلى تحليل هذه الخطابات السياسية لما جرى من أحداث بعد ١١ سبتمبر، فقد حصلت حرب ضد أفغانستان، ثم تلتها حرب ضد العراق، حرب ضد ما يسمى الإرهاب، فتهدف لبيان إشارة اللغة ودلالة الكلام والتمثيلات التي تحدث في اللغة وعودة الحرب الباردة من جديد على الساحة باستخدام الخطابات السلطة والقوة، وإلى قواسم مشتركة بين المسارات الضدية^(١٣).

يرى عبد الله الغدامي: «لو حاولنا أن نتمثل الوجود الأدبي لما لمسناه، إلا في حالة التقاء القارئ بالنص، فالأدب إذا هو نص وقارئ، لكن النص وجود مبهم لحكم معلق، ولا يتحقق هذا الوجود إلا بالقارئ، ومن هنا تأتي أهمية القارئ، وتبرز خطورة القراءة بصفته فعالية أساسية لوجود أدب^(١٤) وهذا الكلام يقاس عليه الخطاب السياسي كونه نصا وفي حاجة إلى قارئ، فالخطاب مبهم ولولا وجود المستمع لا يكون له فاعلية كما يثبت ذلك عبد الله الغدامي.

ونتفق مع جوليا كريستيفا: «إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات.



الشكل يوضح آلية الاتصال والتواصل والتحليل

التنائيات في الخطاب:

ثنائية السلام والإرهاب [الحرب]

تستخدم هذه الثنائية بشكل كبير ومستهلك، فالقضية إما سلام وإما حرب، والحرب ضد الإرهاب، لكن كيف تستخدم اللغة في الدفاع عن هاتين القضيتين؟ في نص لجورج بوش، بتاريخ ٢٠٠٣/٦/٣، أورد هذه الكلمة [السلام] حوالي ٩ مرات ويقابلها [الإرهاب] ٧ مرات، ويورد بوش السلام أولاً ثم يتحدث عن الحرب، والمهم عند هذا المخاطب قضية السلام، فالحرب التي حصلت على يده الحرب الأفغانية - الأمريكية، أو العراقية - الأمريكية، إنما هي من أجل أن يعم السلام والأمن الحقيقيان، ومن أجل رفع

الاستبداد والظلم، وإسقاط وإحلال أو بناء أو هدم/ لبناء، ويسمي ما يقوم به بشرف الخدمة، وواجب عمله يحتمه القسم الذي أقسمه عند توليه المنصب، كما في خطاب ٢٠٠٣/٣/٢١ الصادر عن واشنطن، وكأن بوش قام بهذه الحرب على مضض.

وكل ما ورد في النصوص، التي قمنا بدراساتها، يطرح هذه القضية باستلهاً مشاعر الآخرين ومشاعر شعبه في ما حدث في إسقاط البرجين، وفي خطاب رامسفيلد نقلاً عن جورج بوش يقول «اللعبة انتهت» هذه اللعبة هي الديبلوماسية، لتبدأ الحرب/الجديدة^(٦٥). فيضع السلام في كفة والحرب في الكفة الأخرى.

وبينما لا تستخدم عند صدام حسين هذه الكلمة [السلام] فلا يوجد سلام، الخطاب يتحدث عن حرب، ومعركة ضد الأعداء، ولا يتم السلام إلا بإنهاء أعداء الله عن هذه الأرض، بالسيف، والدم، ويظهر أن صدام في كلامه ينم على عاطفة دينية وحسب من دون تخطيط لهذه الحرب، على عكس جورج بوش فينم كلامه على تخطيط، مبرزاً دور كرسيه ومنصبه، كما هي الحال في خطابات أسامة بن لادن لاسلام ولا هدنة إنما هي حرب «لن تتعم أميركا بالأمن قبل أن تعيشه فلسطين واقعا»^(٦٦) يلتقي بن لادن في خطابه مع صدام بأن الحرب حرب دفاع عن الإسلام والمسلمين في كل بقاع الأرض، وكما نلاحظ في كلامه الإشادة بكل عمل ضد أعداء الله، فجاء ببيان يشيد به بهجومي الكويت والناقلة الفرنسية^(٦٧).

ومن هنا يختلف استخدام المصطلحات، وذلك أن جورج بوش يسمي هذا إرهاباً ويجب الدفاع عنه، وما يقام من عمليات هو عمليات انتحارية^(٦٨). وفي بيان صادر عن رامسفيلد لتحديد أهداف الحرب على العراق يذكر أنها حرب ضد الإرهاب^(٦٩)، حملة أمريكية لمكافحة الإرهاب^(٧٠) وتحرير العراق من الدكتاتور الظالم^(٧١). ولدى صدام وأسامة بن لادن العبارات مختلفة تماماً فهي حرب دفاعاً عن الإسلام، وهذه العمليات عمليات استشهادية بطولية، جريئة^(٧٢). القضية قضية حرب على الإسلام^(٧٣)، يستخدم بوش هذه العبارات [السلام، الإرهاب] بشكل واضح ومباشر، وقد يلمح تلميحا عن هذا الموضوع وهذه من وظائف اللغة السياسية لإثارة حفيظة الناس تجاه الإرهابيين، فقد كثر في العصر الحالي قتل الأبرياء من المواطنين المدنيين والأطفال والشيوخ، والقتل من دون سبب وبلا وجه حق، فأصبح هذا العالم بلا أمن إلى حد ما، ففي أي وقت قد يحدث انفجار ويقتل آلاف البشر. لماذا هذا الانفجار الإرهابي؟ من وراء هذا الانفجار؟ إلام يرمز هذا الانفجار؟ أسئلة كثيرة، نجد بوش يلصقها بالإسلام وصدام وبن لادن يلصقونها بأمريكا والصهاينة، وقد يعترف أو يشيد كما فعل بن لادن بالناقلة الفرنسية، وهدد الأمريكان بذلك، وبوش رد بالحرب الصليبية وكما قال بلير حين ضرب العراق: «لقد لعبنا هذه اللعبة طوال سنوات في التسعينيات» (٢٠٠٣/٢/١٦)، هل نقول إن هذه المعركة ليست إلا ضد الإسلام، والعداء عداء ديني بحت، وليس هدفه - كما قيل - التنمية السياسية، الاقتصادية، الفكرية، الثقافية، والأمنية؟

ثلاثة ألغة في الخطاب السياسي

فماذا يفعل جورج بوش ومنظاره منظار السلطة والقوة والعلم والتكنولوجيا وأنه يمتلك زمام الأمور، والعالم الأول يدير العالم الثالث؛ لذلك لا بد من هذه السيطرة للشرق الأوسط كما قسمه هنتجتون، وأنه لا يمتلك حريته فهو طيلة حياته يعبد إلهها واحدا فقط ويعيش في عبودية، والعالم الأول هو المسؤول عن تطور البلاد في تغيير الفكر والعقل وغرس الأمركة (العولمة) في عقول الشرق الأوسط، وأن الإرهاب خارج من صلب العالم الثالث، فعلى الجمهور المتلقي مواجهة الإرهاب ونشر السلام والأمن؛ لذلك نجد هذه الثنائية متجلية في كلام جورج بوش.

ونلاحظ أن جورج بوش ومن يتبعه قد يوظف استراتيجية مكافحة الإرهاب لنيل السلام، أما صدام حسين وأسامة بن لادن فيتكلمان من منطلق ديني بحت.

ثنائية الماضي والمستقبل

هذه الثنائية موجودة بكثرة في خطابات السياسيين؛ لتسويغ الخطاب، ولتبرير موقفه أمام الآخرين، فقد ورد في خطاب بلير: «السماح لدولة مثل العراق بتطوير أسلحة الدمار الشامل سيكون تجاهلا لدروس الحادي عشر من سبتمبر، وهو ما لن نفعله»^(٧٤)؛ لاستذكار الأناث والحزن والآهات التي وقعت آنذاك، بفتح الجروح لتضميد جرح قد يقع، ونلمح لغة ذكاء فيها من الدهاء أيضا باستغلال هذه الواقعة لمصلحته ولمصلحة ما تسوّل له نفسه فعله، وليميل أكبر عدد ممكن من المشجعين والناصرين له إلى استخدام الماضي القريب المدى للمستقبل البعيد المدى.

وذكر المسار المضاد له «الملا عمر من أنصار أسامة بن لادن» يذكر بالماضي الجليل، التليد، فيستثمر هذا النص التاريخي الماضي لرؤية المستقبل بوضوح من دون غموض وليخدم فكرته يقول: «إنهم يجددون تاريخهم الجليل، عندما هجم الإنكليز على أفغانستان، وعندما هجم الروس، لم أكن أنا ولا أسامة بن لادن، وقد تصدّى لهم الشعب الأفغاني بكل شجاعة»^(٧٥). رسالته كلها هي عن إحياء الماضي لولادة المستقبل، فهو يدعو إلى الجهاد والثورة من جديد ليبقى التاريخ حاضرا منيرا، كما نلمح هنا في هذا النص مدلولاً آخر ألا وهو أن الحرب كانت من قبل وجود أسامة بن لادن، فالهدف من هذه الحرب إذن هو الاستيطان والإسلام، ودليل ذلك أنه لماذا كانت هذه الدولة الإسلامية مستهدفة وتوالت عليها الحروب، وثمة دليل آخر على هذا ما قاله بلير في نصه: «لقد لعبنا هذه اللعبة طوال سنوات في التسعينيات»^(٧٦) حينما أورد بأنه ليس هو الوقت اللازم لعثور المفتشين على أسلحة، فكأن براقش جنت على نفسها.

ونص أسامة بن لادن ردا على الحملة الصليبية الأمريكية: «ولا عجب أن تهب الأمة المسلمة في باكستان دفاعا عن إسلامها؛ فإنها تعتبر خط الدفاع الأول عن الإسلام في هذه المنطقة، كما كانت أفغانستان هي خط الدفاع الأول عن نفسها وعن باكستان أمام الغزو الروسي قبل

أكثر من عشرين سنة^(٧٧). هنا استذكار الماضي لاستمرارية المستقبل وهي تدعو في طياتها إلى الجهاد. ويذكر ذلك مؤيدا كلامه من كلام رسول الله للاستتهاز بمستقبل زاهر، في نص لأهل الجزيرة العربية (السعودية)^(٧٨).

بينما صدام حسين يستشهد بهذه الثنائية بكل قواه، لمصلحته من باب أن التاريخ يعيد نفسه، وأن هذه الدنيا يوم لك ويوم عليك، فلا بد من ثورة وحماسة وإثارة وأيضا إغراء بما يلاقه الشهيد عند ربه - مع نسيان صدام حسين أنه حصل على الحكم بالانقلاب، فالأولى أن يفطن لما فعله هو مع غيره حتى لا تقع به، فيذكر المتلقي بمعركة «عين جالوت» ويسرد التاريخ مفصلا مجريات المعركة، ويقارن ما بين هولاء وما بين اليهود مقارنة تشي بعمق دراسة التاريخ^(٧٩) تذكر بأحداث قصة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وكيفية استخدامه لمقولة هذا التاريخ، ومناسبة موقعها لحديثه (٢٠٠٣/١/١٧ و ٢٠٠٣/١/٢٧).

أما جورج بوش فيستخدم التاريخ بطريقة خاطئة كذلك، حينما أعلنها حربا صليبية، مما ألب غضب العرب والمسلمين، وثار عليه الجميع حتى تراجع عن كلامه، وقال إنها حرب ضد الإرهاب ومن يتعاونون معه^(٨٠).

ثنائية الهدم/البناء

لعلنا نجزم أن هذه الثنائية حاضرة في كل الخطابات التي قمنا بتحليلها، إذ يركز موضوع الخطاب السياسي قائم موضوعه وانفعاله على الهدم والبناء، فلا يتم البناء دون هدم، أو إعمار وترميم للبناء، وأحيانا كثيرة هدم بلا بناء

إذن هو تغيير للملامح التي كانت موجودة وهذا أشبه بالهدم، لكن بطريقة أخرى، فمثلا بوش في خطابه يعمل على هذه الثنائية؛ ذلك لاستراتيجية الإقناع واستراتيجية التأثير على المستمع ضد الخصم، ولنيل مشاعر الآخرين، نورد بعضا من هذه الثنائية في خطابه: «أملنا هو القضاء على أسلحة الدمار = الهدم، مساعدته على تحرير العراقيين من القمع والإرهاب = البناء^(٨١)». نزع أسلحة = معركة/هدم، تحرير العراق = عملية بناء^(٨٢).

وبعد دخول العراق وهو هدم النظام الدكتاتوري كما يقول بوش ومن ثم يتعين على إعادة بناء العراق، بمساعدة ومساندة من الدول جميعها^(٨٣) نلاحظ ثنائية الهدم ومن ثم مباشرة البناء وهي واضحة جلية في البيان.

ولاحظ جنود بوش بعد دخول القوات الأمريكية جوع الأطفال وسوء التغذية بأجسادهم البالية، ثم الاحتفالات التي تمت بعد سقوط تماثيل «الدكتاتور الظالم»^(٨٤) هذا يدل على وجود ثنائية الهدم المتمثلة في الجوع وسوء التغذية، ثم البناء في الاحتفالات التي جرت، كما ذكر بوش: «طوقنا مئات الأطفال وأخذوا يقبلوننا»^(٨٥) وتشى هذه العبارات ضمنا بهذه الثنائية، ليثبت للمتلقى هدفه من الحرب وهو الفرح والأمن والعدل والديموقراطية فهي نقبض

ثلاثة اللغة في الخطاب السياسي

الدكتاتورية، وهذا الكلام قائم على استراتيجية التأثير وجذب أكبر عدد من المتلقين، فيكون حقه في الحرب حقا شرعيا، ودليله الفرغ والاحتفال بهدم التماثيل.

«القضاء على الإرهاب» = الهدم، «نحن نقاتل من أجل الحرية، نحن نسعى لتحقيق الحرية = البناء»^(٨٦). هذه الثنائية الهدم والبناء بشرت بالقضاء على الإرهاب (حدوث حرب) والحرية ضمنا لاستراتيجية التأثير وإيقاع المتلقي في زمام ما يقوله المتكلم.

«أسقطنا نظاما نازيا» = الهدم، «تحررت العراق، قواتنا الآن تعمل على إعمار العراق» = البناء، قبل سقوط العراق وأفغانستان في يد أميركا كان الحديث عن هذه الثنائية، إعمار وبناء وإبعاد الحكم الدكتاتوري وانتقالها إلى حكم ديموقراطي، ولكن حين سقوط العراق وأفغانستان بقي الكلام عن هذه الثنائية مثل: نحن نحاول الإصلاح مع الشعب، نمد اليد للشعب العراقي ليحقق أمنه واستقراره، ولكن كلمات هذه الثنائية تركز على أمل في تحقيق ما قيل، فما زال بوش متمسكا بلعبة الكلمات في عودته وعهوده في هذه الثنائية، حتى بعد سقوط العراق فهو على أمل أن ينجز شيئا، ويدعو للتفاوض فالطريق طويل لبناء دولة ديموقراطية تحقق كل أحلامها.

يرتكز بوش إذن، في خطابه على هذه الثنائية فيهدم ثم يبني، لا لأنه يهوى الهدم إنما ليقوم البناء على أساس من الثبات والقواعد المتينة التي تحقق السلام والأمن والعيش في ظل حكم ديموقراطي، أساسها العدل لا الظلم، وهذا البناء لا يقوم إلا إذا أزلنا الفساد والظلم وجددنا الروح لينطلق الجسد وينمو نموه الصحيح المتوازن.

وتشتمل خطابات صدام حسين وأسامة بن لادن على هذه الثنائية بهدم الصهاينة وبناء دولة واحدة إسلامية: «عليكم بالجهاد؛ تحفظ الأوطان وتصان الحرمات، وينتشر العدل = هدم/بناء، لقد من الله عليكم بأن جاهدتم»^(٨٧) ويتم الهدم والبناء عن طريق الجهاد، فهذه الكلمة «الجهاد» هي من ينهي الصهاينة بهدمهم ويبني دولة الإسلام، كما تناول هذا الكلام في نصين أحدهما للشعب الأمريكي للدعوة للإسلام، والنص الآخر لبعض الدول العربية.

«إنكم لمقبلون على أيام عويصة، فاستعدوا بالسلاح»، «فلنكن نحن وإياكم يدا واحدة حتى يعقب تلك الفتن الفرغ والنصر لهذا الدين»^(٨٨) البناء عن طريق هذا الدين.

«اضربوا سفارات أمريكا وإنجلترا وأستراليا والنرويج... أشعلوا الأرض نارا تحت أقدامهم، لا يفهمون إلا لغة القتل والدمار»^(٨٩) هذا الهدم يستكنه في داخله بناء من خلال الجهاد، ونحن ندرك أن الكلمة بحد ذاتها لها أكثر من مدلول وحركة وصوت ورمز وجرس موسيقي معين يفهمه المتلقي.

«إعلان الحرب على أمريكا» أحد عناوين صحيفة الدستور بتاريخ (٢١/٨/٢٠٠٢) ويحتقب هذا العنوان في طياته ثنائية الهدم والبناء؛ لاستراتيجية الإقناع والتأثير في السامع، بهدم أمريكا - من منطلق ابن لادن - باعتبارها رأس الكفر العالمي وأنها - أي أمريكا - قائد الصليبيين سيكون

بناء حضاريا وثقافيا اجتماعيا ماديا وعالميا؛ لأنه كما يقول ابن لادن في أحد خطابه إنه رأس الكفر العالمي - أمريكا - قائد للصليبيين، وبتحرير البلاد من هذا القائد يعم السلام. وتستعلن هذه الثنائية عند صدام حسين؛ لأن الخصم هو ذاته بوش وأعوانه ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾، «سيموت مندحرا عند أسوار بغداد ومن العراق»... «الهدم والبناء» المجد والعيش في عليين للشهداء، هكذا ترسم ملامح هذه الثنائية عند صدام حسين ترمي سهامها على الإسلام والدين الحنيف بأن الهدم هو قلع جذور الصهاينة، والبناء بناء دين حنيف ودولة راسخة بالإيمان، باستخدام الدين الحنيف في هذه الثنائية عند التحالف العربي - على الأقل - وعند الغربي القيم والأخلاق والحقوق.

ويبدو في خطابات بوش، بليز، رامسفيلد، باول، الانتقال من بناء قديم (العراق، أفغانستان) إلى بناء جديد، لا بد منه بعبارات التحرر والتحرير، وإما بطريقة مباشرة بإثبات مفردة (بناء) تنموي، حضاري، مستقبلي، اجتماعي...، كل هذه البناءات لا تتحقق إلا بالقيم والأخلاق كما يوردها متكلموها، في حين نلاحظ في خطابات أو نصوص صدام وأسامه بن لادن والملا عمر البناء يرتكز على الإسلام بنصوص قرآنية فلا يتم البناء إلا بالإسلام.

ثنائية الأنا الفردية والأنا الجماعية

تظهر في الخطاب الأنا الفردية والأنا الجماعية، فسيكولوجية الخطاب مختلفة عند الأنا، فينتقل الخطاب من الذات إلى الجماعة بمهارة، فابن لادن يذكر «أنا أخوكم» أنا أقول مباشرة، أو بضمير المتكلم لبث صدق المتكلم^(٩٠) الأنا الفردية وضمنا الأنا الجماعية فهو يريد فردا ويقصد الجماعة كاملة، كما نراها عند صدام حسين، بمناداة شعبه «أيها العراق، الماجدة البهية، أن نعمل، وعليكم، اعلموا، نحن وإياكم»، كل هذه مرتبطة بالجماعة وليس بالفرد، وهذا الأسلوب ليزيل عن نفسه النقد، كما تقول كرسينا شتوك، كما أنها لا تخلو من خطاب بوش «ذهبتُ إلى الجمعية العامة ودعوت أمم العالم»، باستخدام ضمير المتكلم (الأنا) ثم ينتقل لصوت الجماعة «علينا، نشكر، سنساعد، سنقوم» بصوت الجماعة ضمنا بالأنا الفردية؛ لأنه هو الذي سيقوم ضمنا للقرار الذي سيصدره، لبيان حضوره على الأمر، وهذا التنوع باستخدام الأنا الفردية والأنا الجماعية، لكن الإكثار من الأنا الجماعية التي تخفي الذات الفردية^(٩١) ويتكلم بوش بالأنا الفردية أكثر من الأنا الجماعية؛ ذلك لأنه هو المسيطر الوحيد على هذه المعركة وأن الحكم بيده، وقد تظهر الذات الفردية من دون وعي منه؛ لأنه يريد أن يلتفت الجميع إليه وأن القرار قرار جماعي، والإصلاح جماعي أيضا.

فالأنا الفردية إن كانت في خطاب صدام حسين أو خطاب ابن لادن أو خطاب جورج بوش وأتباعه تدل على الثقة بالنفس وعلى مركز القوة، كما أن الأنا الجماعية لها صداها في التفاف أكبر عدد ممكن من الناس حول الفئة المتكلمة ليجزع الخصم بذلك ويعطي الأمل

تمثلة اللغة في الخطاب السياسي

والطمأنينة لأنصاره. وقد يستخدم بوش صوت الجماعة وكأن الجميع يريد هذه الحرب وإفشاء السلام والأمن، وصادم وابن لادن يستخدمان الأنا الجماعية؛ لأن الفرد وحده لا يحقق ما يرمى إليه، فاليد الواحدة لا تصفّق، ولا تصنع أي شيء، بل يدلّ على ذلك بأن الدولة الإسلامية قامت بتآزر الجماعة، كما يدل على انغماس الذات في الجماعة، والذويان فيها، وهذا ليس تقليلاً من شأن الذات الفردية، بل هذا العمل يزيد من رفعتها، هكذا هي دعوة الإسلام لهذا تكثر هنا، بينما ورود الأنا الفردية أكثر من الأنا الجماعية عند بوش ففيها إلماح إلى عظمة الذات، ف «سنساعد، سنقوم، سنحقق، سنبدل، سندرس» هذه الأفعال تدل على عظمة الذات وقدرتها على الإنجاز مع الفعل الجزئي للجماعة.

استخدام الصيغ المستقبلية

بعد الحرب على أفغانستان كثرت هذه الأفعال، وقبل البدء بالحرب على العراق ازدادت؛ ذلك لأن الحرب للبناء وليس للتدمير، فهي خلاص من ظلم دكتاتوري، استعداداً لبناء دولة جديدة أو لإعمارها من جديد، «سنزيل التهديد، ننقل، ونسلم المساعدات، ونؤمن حرية الشعب العراقي، إننا نقوم باتخاذ، إننا ندعم مطامح الشعب العراقي، إننا سننهض، إننا نعتزم السعي، مستقبل العراق، وسنمضي قدماً في هذا المجال...»^(٩٢) فيكثر من استخدام الغد المشرق للامتنان وتهذئة نفوس العراقيين بخاصة والعرب بعامة الذين يناضلون للسلام والحرية، ويتكلم بصوت القوة والسلطة لكي يعطي لنفسه الحق في إزالة دول صغرى وإطاحتها.

وتكثر عند بليير رئيس الوزراء البريطاني هذه الصيغ وتؤدي الغرض نفسه وترمي إلى الهدف نفسه: «سنقوم بعمل عسكري وسنعمل على تغيير نظام الحكم» (CBB)، للتحرك ضد العراق، كما ورد أيضاً في نص للتنبؤ بالمستقبل^(٩٣)، وترمز إلى رؤيته من عين المخاطب ومن وجهة نظره، مسوِّغاً بذلك ذريعة حربه، بدافع من الأمل، وخوفاً من حدوث كارثة في الزمن البشري.

وتظهر هذه الصيغ في نصوص أسامة بن لادن: «فسوف نقدم كل ما نملك، وسوف ندافع، سوف نفضل بأمريكا ما يسر المسلمين ويملاً قلوبهم فرحاً»^(٩٤)، فهو يستشرف آفاقه كما تشرق الشمس بحيوية النص الخطابى وقد تأتي بالوعود المستقبلية^(٩٥).

هذه الوعود لا يعرف متى يتم تحقيقها عند كل الأطراف.

والمستقبل في خطاباتهم ليس له هوية ولا ملامح ولا سمات، فهو مبهم كما الزمن وكما التاريخ أيضاً . أما صدام حسين فيستخدم أفعاله المستقبلية في الحرب على أعداء الله، للدفاع عن فلسطين وعمماً يحدث في بلاد المسلمين، وهي عبارات تشجيعية للمتلقى الفلسطيني والعراقي ومن ثم العربي، وهذه الصيغ المستقبلية ترمي إلى الإغواء الأيديولوجي مع (الآخر) و(الماضي) ولتخلق حالة تآزر لخطابه من الجمهور المتلقى.

الدعاء:

يخلو النص السياسي - في الغالب - من الدعاء، لكن قد ورد الدعاء بشكله المباشر وغير المباشر، وبالذات في نصوص صدام حسين وأسامة بن لادن والملا عمر لأن بعض الخطابات موجهة للمسلمين كافة، تقترب من عقول المستمعين. وكما صنع جورج بوش حين إعلان الحرب على أفغانستان والعراق إذ صُلّي ودعا الناس للصلاة، ودعاهم إلى الدعاء والذهاب إلى الكنيسة، وكل منهم يستخدمها لأنها مصدر قوة وتثبيت الجنود (uruklink.iraq/net).

الإثارة اللغوية:

يأتي هذا بحدوث الفاء مع فعل الأمر، إنباء على سرعة اللقاء، وتتتابع الأحداث، ففي خطاب أسامة بن لادن «فانهضوا، فاستعدوا، فاستمسكوا»^(٩٦) ونص صدام: «فارفعوا مع الراية العالية سيوفكم، فاستعدوا، فاطردوا» (٢٠٠٣/١/١٧).

استخدام الكلمات المبهمة

استخدم رامسفيلد الكلمات المبهمة، الغامضة، الشاملة - إلى حد كبير - : «... وفي أحوال كثيرة إطلاق النار على الناس وقتلهم»^(٩٧).

تشمل جميع الناس العسكري والمدني، الرجل وحتى الطفل والشيخ المسن والمرأة، فهو لم يحدد على من يقع هذا الإطلاق، متناسيا بذلك حقوق الإنسان - التي أقرتها الأمم المتحدة - وحق الطفل في العيش وحق الحياة، وكما أنه يتناسى ما طالب به جورج بوش بأن هذه الحرب هي تحرير البلاد من ظلم الدكتاتور القاسي، مطالباً بالحرية والسلام، إذن هذا النص الإعلاني منافٍ تماماً للخطابات ما قبيل الحرب بنص جورج بوش «ونؤمن حرية الشعب العراقي» و«حرة تعيش بسلام» «لضمان مستقبل ديموقراطي آمن للشعب العراقي»^(٩٨)، في نص آخر «نسعى لسلام حقيقي» (٢٠٠٣/٦/٣).

كما أن هذا الإعلان الخطابي مناقض لما جاء في نص رامسفيلد نفسه عن أهداف الحرب (٢٠٠٣/٣/٢٣) بعد هذا النص بشهر وقبل الحرب بشهر، فلم تتصدر هذه الأهداف مثل هذا النص لو تمت، بل جاء النص على الإصلاح والتنمية والمساعدة لهذا الشعب. مثل هذه المفردات توقع المتلقي في حيرة - إذا لوحظ فهناك حرف استدراكي ولكن - فكأنه في أمر للتخيير ما بين الشيء الصعب والشيء الأصعب وهو استخدام مُلغز، فكأن هذا الأمر سيحصل على مضمض منهم. وفي نص لرامسفيلد «الشعب سيعيد بناء العراق»^(٩٩)، وهذا النص مخالف لما ورد أعلاه.

وهناك ملمح آخر، هذه العدة التي شهدناها في النصوص الخطابية السياسية تؤكد أن الهدف منها «تحرير بغداد» و«تدمير النظام الدكتاتوري الممثل بصدام حسين» فلماذا إذا هذا الإطلاق، ولماذا القتل؟ إن لم يكن الهدف منها الاستيطان والاستعمار بطرق جديدة

ثلاثة اللغة في الخطاب السياسي

من خلال غموض الألفاظ، الذي يؤكد ما نقوله هو نص لجورج بوش «إنها حرب صليبية»^(١٠٠).

استخدام النص الديني:

يستخدم المخاطب النصوص الدينية دفاعا عما يورده من أفكار، ولعل استخداما محنكا لهذا الموروث يشف عن غزارة دينية.

فلا يخلو الخطاب السياسي، إن كان المتكلم عربيا أو أجنبيا، من استخدامه لنص ديني، فـ «بوش» ليحم الله بلادنا وكل من يدافع عنها^(١٠١) وذهابه للصلاة من أجل حفظ أميركا بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ودعوته للأمريكيين بالصلاة والدعاء من أجل حفظ الجنود حين بدء الحرب على العراق، وفي بدء العمليات العسكرية قال بوش: «فليحفظ الله شعب العراق وليحفظ الله أمريكا» (٢٠٠٣/١/١٤) مع أن خطابات بوش قائمة على القيم والأخلاق وأن الدول لا تقوم إلا على المبادئ ولا علاقة للدين بذلك، فلقد انطلق العقل الغربي من محددات تهدف إلى إلغاء الآخر: العرق/الثقافة/ الموروث/ التاريخ، وكل ما يرتبط به كهوية في الوجود، فنجد عند العقل الغربي التعصب العرقي فظهر مصطلحات: أحرار/ عبيد، أبناء النور/أبناء الظلام، متحضّر/ متخلف، ومصطلح سيادة الرجل الأبيض، من هنا يمهّد العقل الغربي لطريق المركزية، لتدشن انتصاراتها ربما بسهولة ومن دون توضيحات، من هنا تكمن خسارتنا، على الرغم من المواجهة الدينية واستخدام الدين وسيلة للنصر في انتخابات جورج بوش إيماننا منه بأنها تؤثر في سامعيه.

يكثر أيمن الظواهري من توظيف النص الديني في خطابه، فعلى سبيل المثال لا الحصر: «توكلوا على الله، بعون الله، نسأل الله»^(١٠٢).

«الله وفق كوكبة من كواكب الإسلام، طليعة من طلائع الإسلام وفتح عليهم فدمروا أميركا تدميرا» لاستراتيجية الإقناع^(١٠٣) كما دعا كل مسلم إلى أن يهب لنصرة دينه، بالجهاد^(١٠٤) ورود آيات قرآنية كاملة في خطابات أسامة بن لادن نحو: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (رسالة إلى الشعب الأمريكي) كما يورد صدام حسين نصوصا قرآنية كاملة في بداية الخطاب، فهذا الحديث له وقع على قلب المستمع المسلم.

والنص الديني بوجهة نظر الشرق «صدام وأسامه» هو الإسلام وإحلاله والدعوة إليه، فهم على علم ويقين أن الدولة الإسلامية قائمة على الكتاب المقدس [القرآن الكريم] وهو منهاج الدول للتقدم والتطور، وله تأثيره في نفس المستمع، ومن القرآن يستمد الأفراد قيمهم ومبادئهم وقلوبهم تخشع لله تعالى، فيكون هذا دليلا على صدق كلام المتكلم، ومن وجهة نظر الغرب «بوش وبلير» المرجع هو القيم والأخلاق.

تشويه صورة الخصم

يعمل كل فريق من السياسيين على تشويه صورة الآخر في أنظار الجماهير ودعمًا لرأي المخاطب، فصدام حسين يتكلم عن بوش بأنه: «قزم صغير، ونباح الكلاب، فحيح الأفاعي، رأس الإرهاب»، وأسامة بن لادن يشترك معه في ذلك: رأس الكفر العالمي، الكاذب، العدو. وجورج بوش أيضا يتكلم عن هذا بالطريقة نفسها فهما بالنسبة إليه مجرما حرب، الظالم الدكتاتوري، الإرهابي، فكل واحد من هؤلاء يشوه صورة خصمه ليتقبل عند حلفائه وليدعم موقفه.

ما يميز نص صدام حسين

لازمة الله أكبر: وجود لازمة صوتية حتى أصبحت شعارا للرسم العراقي وراية العراقيين بعد ذلك، وهي راية الجهاد منذ زمن الرسول الكريم، عبارة الله أكبر فهو يرددها بين ثنايا كلامه بصرخات مرتفعة، وقوية، ويكررها وهذا يفيد التأكيد ويفيد الاستمرارية^(١٠٥). لازمة بداية خطابات صدام حسين تبدأ بالبسملة وتليها نصوص من القرآن الكريم وتشير إلى الموقف الذي يريد التحدث فيه .

لازمة باسم الله، إن شاء الله، بإذن الله، الحمد لله، وهي من المعتقدات الدينية ويتفق بها مع أسامة بن لادن.

لازمة أيها الأخوة، هي مقتبسة من: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ «ويتفق مع أسامة بهذا الخطاب للمستمع، فتظهر هذه اللازمة في كل خطابه.

وخطابات صدام هي خطابات سردية فهو يسرد الأحداث التاريخية وبيثها في نفس المستمع ويستنهضه من خلال كلام عاطفي، ديني، فيه من القوة بارتفاع الصوت؛ لإثارة النفوس، وزجهم في خطاب المتكلم الذي يريد عددا من المستمعين، باستخدام ألفاظ الجهاد، والدين الإسلامي والتضحية، وأن النصر من عند الله، وغيرها الكثير، فهو ليس خطابا عاديا يهدف إلى الإخبار عما حدث في ضوء تحريك مشاعر الناس واستمالتهم واستمالة عطفهم ومشاعرهم الدينية.

ويرمي هذا الأسلوب إلى تحريك السامع وإثارة خلجاته العاطفية، ويكون الفاعل فيها ملتفتا إلى هذا الأسلوب إذ إنه أسلوب لافت^(١٠٦).

ويختار صدام طريقا لخطابه السرد والتأريخ، من خلال أسلوب أدبي أكثر منه سياسيا؛ فهو يبدأ بمقدمة دينية (نص قرآني كامل) من ثم ينتقل بأسلوب أدبي ذلك ليباعد عن النقد، كما تقول كرستينا شتوك في كتابها اللغة كوسيلة للسلطة^(١٠٧).

ونذكر من تلك النصوص الأدبية التي يتكلم بها أهل الشعر والنثر: «مع خطوط الفجر البهي، ومن شعاع الشمس التي أشرقت بعد غياب طويل، أبت قبلة أن تولد من أفقها، ومن

تعللة اللغة في الخطاب السياسي

أهداب العيون التي جرحها الدمع الهتون، على أحبة غابوا، ليشرقوا الشمس الجديدة... في سمائها طيور خضر» فهو يتكلم هنا عن المعركة التي يصفها بأمر المعارك الخالدة وهي حرب تحرير الكويت في ١٦ - ١٧/١/١٩٩١ .

«... ولم تلغ عبور التماسيح البعيدة بحار أهلها لتعين هوائهم الأرض في هجمتهم على الشمس، أملاً خائباً منهم في أن يجربوا ضياءها الذي أشرق». ويكثر في خطابه استخدام الصفات، فيضيف الفاعل على نصه هذه الكلمات للتأثير في المستمع بـ:

أيها الشعب العظيم في عراق الإيمان والجهاد والبطولة والمجد

أيها النشامى أبناء قواتنا المسلحة الباسلة

أيها الخيرون في العالم حيثما كنتم (٢٠٠٣/١/١٧) هذه الديباجة لا تخلو منها خطابات صدام حسين حصريا من التسعينيات فلم يقل فقط الشعب وإنما أضاف إليه صفة العظيم والعراق: الإيمان، الجهاد، البطولة، المجد، والرابط هو حرف العطف الواو، فهي عبارة عن كلمات رنانة لغويا ولها وقع موسيقي وصوتها مرتفع (الجرس).

أيها الماجدة البهية، كذلك مع ارتفاع نبرة الصوت وتنغيمه للتأثير في المستمع مما يحقق استراتيجية الخطاب.

ما يميز نص أسامة بن لادن

المصطلحات الإسلامية: «الغزوة» و«البادي أظلم» فهي حق ودفاع عن سلب حق.

الهدف الأساس نشر الدين الإسلامي وإعلاء كلمة الله بالحق ولو بالجهاد، الحث على الجهاد «أدعوكم إلى الإسلام».

القفلة القرآنية والبداية القرآنية: فالختمة بالقرآن كما الاستفتاح بالقرآن ليجذب قلوب المسلمين.

وتكثر عنده أداة الحصر (إلا) وهي تشترط على السامع تنفيذ هذا الكلام، كما أنها تدغدغ مشاعر المتلقي وبه نوع من حدية الكلام بارتفاع الوتيرة، الجرس الصوتي بعد إلا، نحو: «لن ينفعكم إلا حمل السلاح والنكاية من الأمريكان واليهود»، «لا يفهمون إلا لغة القتل والدمار، لا يقتنعون إلا بالتواييت العائدة»^(١٠٨) «التي لا تعرف إلا منطق القوة والجهاد»^(١٠٩).

معظم الخطب السياسية لزعماء العرب كما تقول كرستينا شتوك تتميز بالطول والتكرار، وإدخال جمل معقدة، بينما خطب صدر الإسلام وحتى الجاهلية إضافة إلى خطب الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - فهي موجزة وواضحة وخالية من الزخرفة^(١١٠).

ويكثر أسامة بن لادن من الإضافات في الصفات بكل نص خطابي يذكر «الشعب الأبوي الصامد المجاهد»؛ لإثارة خلجات المستمع وحتى يبتعد عن النقد، ونص ابن لادن تهديدي،

وعيدي، لغة قوية تنبثق من الثقة بالذات وتدعو إلى الإسلام، وفيها من الحدة والصراحة الشيء الكثير «فاستعدوا بالسلاح، لا يفهمون إلا لغة القتل والدمار، أشعلوا الأرض نارا تحت أقدامهم»، فهو يستخدم لغة عاطفية تشي بميل قلوب الآخرين.

ألفاظه ومصطلحاته في الخطاب السياسي دينية بحتة، ويستثمر النص الديني، ضمن الموقف الذي يريده لتحقيق الإقناع لدى المستمعين، فيكثر من الحمد لله، إن شاء الله، بإذن الله، باسم الله، كما عند صدام حسين، دائما يذكر المستمع بالأخوة من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وبأن هناك رابطا دينيا قويا قبل أن يكون دمويا، وهو أقوى الروابط وأكثرها عمقا مما يدفع الجميع لتصديقه والثوق بكلامه، وأنه يحسن استثمار النص الديني. ويذكر التاريخ المجيد البعيد المدى، والتاريخ القريب المدى أيضا حين كانت الحرب السوفييتية على الأفغان، وعلامات النصر والفرح بهذا التاريخ التليد، ليظل حاضرا مجيدا، يكثر منه لإثارة حفيظة شعبه على الثبات والاستمرارية في مواجهة العدو، وعلى الإيمان بقدرته على مثل هذه المواجهة فقد فعلوها منذ زمن قريب مع روسيا وانتصر الأفغان.

مايمز خطاب بوش

كانت لغة بوش قبيل الحرب على العراق وبعد دخول القوات الأمريكية وبعد اعتقال صدام حسين لغة عاطفية، «إن السلام في العالم مضطرب وآمال الشعب المضطهد تقع على عاتقكم، الأعداء الذين ستواجهونهم سيترفون بمهاراتكم وشجاعتهكم، والناس الذين ستحررونهم سيكرمون روح الجنود الأمريكيين»⁽¹¹⁾ وغيرها، هذا الخطاب كان في أثناء بدء إعلان العمليات العسكرية على العراق تأتي لغة عاطفية؛ دعما لمعنويات جيشه ورفعها في أثناء هذه الحرب.

ويركز بوش في خطابه على بث السلام والأمن، وأن هذه الحرب من أجل البناء وليس هدفها الدمار، أو الاحتلال، كما أنه يكثر من الصيغ المستقبلية التي تؤمل الشعوب وتضعهم في قمم الأمان والأحلام من دون تحقيق لهذه الأحلام التي غدت أمني، فقد كان يؤمل الشعب الأفغاني والعراقي باستعادة الديمقراطية والعدل، وعدم قتل الأبرياء، والعيش بسلام، ومراعاة حقوق الإنسان، وإن كان المشهد المتحقق بعد الحرب وبعد دخول القوات الأمريكية عكس ذلك تماما، إذ زاد عدد القتلى، والمتشردين، الدمار، وهذا ما يعيشه الآن ويحياه الشعب الأفغاني والعراقي.

إذن، يُكثر من الوعود قبيل الحرب، وأنه يقوم بهذه الحرب على مضض، لإزالة الدكتاتورية، والقسوة وأبهر الدماء، ونشر العلم والتكنولوجيا فهذا العالم متأخر، وعلينا جميعا المشاركة في مساعدته وخدمته، فيتكلم بكلمات رنانة في البناء والتجدد والتطور والتنمية؛ لإذابة عقل المستمع المضطهد، وتحقيق استراتيجية الخطاب بإقناع الجمهور المستهدف.

صوت الأمد

يضم الخطاب السياسي صوت الأمد، يقول ابن لادن: «احزموا أمركم، اضربوا سفارات أمريكا...» «اطردوا هؤلاء المجرمين، لا تسمحوا للأميركيين والبريطانيين.. أشعلوا الأرض نارا تحت أقدامهم»⁽¹¹²⁾ الوتيرة مرتفعة، «احزموا، اضربوا، اطردوا، كلها أفعال أمرية تدل على ارتفاع صوت المتكلم، كما تدل على شجاعته لأنه يأمر ولا بد من تنفيذ الأمر»⁽¹¹³⁾ هو فعل تحريضي، يحرض المسلمين على تنفيذ مآربه.

ومن خطابات ابن لادن: إياكم أن تلقوا سلاحكم، عليكم أن تتمسكوا بموالاة ومعاداة الكافرين، لغتها لغة وعيد وتهديد فالجرس الموسيقي قوي وقاس يدل على قوة المتكلم مخيفا الخصم⁽¹¹⁴⁾.

التكرار

يقودنا التكرار إلى فكرة تداخل النصوص والوعي بالآخر؛ لأنه من المعاني ومن الأفكار تتولد الأفكار، وهي ظاهرة في التراث الشعري، إذ تدخل في البنية الخطابية، الأدبية، ... و«التكرار في حد ذاته وسيلة مهمة من الوسائل السحرية التي تعتمد على تأثير الكلمة المكررة في إحداث نتيجة إيجابية في العمل الفني المميز»⁽¹¹⁵⁾، وتعمل هذه الظاهرة على مثير واستجابة للمتلقى، وتكون استجابة مغايرة عند المتلقي وهي ظاهرة لغوية⁽¹¹⁶⁾.

ويوظف صدام حسين هذا الأسلوب، ونذكر بعضا منها: كل أصيد أعز، وماجدة بهية، العراقيون المؤمنون، المجاهدون، أيها الأخوة، باسم الله، إن شاء الله، الحمد لله أيها النشامى والماجدات في شعبنا العظيم، أما خطابات أسامة فهي أيضا لا تخلو من التكرار على شاكلة ما ذكرنا عند صدام⁽¹¹⁷⁾.

ويكرر جورج بوش أيها المواطن الكريم، السلام، الإرهاب، الحرية، تحرير العراق، حقوق الإنسان، السعادة، الأمن، هدم الظلم الدكتاتوري، نشر العدل، أيها السادة، ويكرر فكرة ثابتة بتحرير العراق، إزالة أسلحة الدمار الشامل، لا يذكر دينه مع استخدامه في الانتخابات ونجاحه.

استراتيجية الآخر

يعمل العقل الغربي على أداة صياغة الآخر وفق رؤية محددة، وعبر منظور خاص، بما يوافق المنظور الغربي والبنى الثقافية الغربية، يقول هيغل: إن الشرقيين لم يتوصلوا إلى معرفة أن الروح، أداة الإنسان بما هو إنسان، فينفي هيغل قدرة الشرقيين على إدراك ماهية الروح الحرة، ذلك لأن الشرقي لا يعرف طوال حياته كلمة حرية؛ لأنه يعيش في عبودية دائمة، فالغرب معيار للفضائل المختلفة: العلمية، الفلسفية، الثقافية، السياسية، وغيرها.

وكما يرى هوسرل فإن الآخر في خريطة التفكير الغربي لا موقع له، فحيث الغرب فثمة منطلق يقود الحياة إلى مصير خالد، فالمنظور الغربي لا يرى إلا ما يريده هو فعلا ويرغب فيه⁽¹¹⁸⁾ من هذه الدراسة التي قمنا بها نلاحظ، أن الغرب يرتب العالم حول مركز يشكل هو جوهره، وكل من يبتعد عن المدار المتصل بذلك المركز، يكون قد هوى إلى الحضيض؛ لأنه فقد اتصاله بالمركز الذي يمنح الأشياء أهميتها، كما أوضح ذلك محمد أسد في كتابه الطريق إلى مكة.

والآخر الشرقي نسبة إلى الغربي فيرى غروبناوم أن الغرب «حقيقة حيّة» أما العالم الإسلامي [الآخر] فهو من حيث المبدأ «كون ثابت» وهذا الكون الثابت «يسيطر عليه الوحي والسنة النبوية» كما يضيف غروبناوم عن العرب بأنهم استفادوا من الإغريق: إنه قدم للمسلمين شكلا عقلانيا خالصا من الفكر، وعلم فن التنظيم ونقل إليهم صورا مبرهنة من المقاييس المنطقية، ... بل إنه في كل مجال مبادئ مقنعة في التقسيم والتبويب⁽¹¹⁹⁾.

ويقوم العقل الغربي على تمييز ب:

- تفوق الشعب = العرق

- تفوق الثقافة = الحضارة

من هنا بدأ التمرکز والتقدم على الآخر، ولذا لا يمكن تأسيس حوار حضاري، بين الغرب والآخر، بفعل نزعة التفوق والتمركز؛ لذا فليس ثمة خيار إلا إعادة إنتاج الآخر على رؤية الغرب الفوقية، ويفسر إدوارد سعيد الأمر قائلا: «إن الاكتناه التخيلي للأشياء الشرقية كان يقوم، بصورة حصرية نوعا ما، على وعي غربي ذي سيادة برز من مركزيته، التي لم يكن ثمة ما يتحداها عالم شرقي، أولا تبعا لأفكار عامة حول هوية من وما كان شرقيا، ثم تبعا لمنطق مفصل ليس محكوما ببساطة الواقع التجريبي، بل بمجموعة من الرغبات والمجموعات والاستثمارات والإسقاطات⁽¹²⁰⁾.

كما يرى إدوارد سعيد أن المستشرقين الأمريكيين خاصة يرون الإسلام أقل منهم، ويريدون القصاص منه لأنه كان في وقت أعلى منهم، فمثلا، يستخدمون مصطلح «محسن» للإشارة إلى «إسلام» أنه «نموذج أولي للمجتمعات التقليدية المغلقة» وهذا يدل على مفهوم الإسلام بخلاف المجتمعات العادية، ويقول بأن مثل هذه الصور هي عقائدية بغيضة لـ«نا» ولـ«هم»⁽¹²¹⁾ فيعرض سعيد نماذج لأفكار غربية عن الشرق كتبت بأيدي شرقيين وأيادي استشراقيين، فضاع ما كتبوا لأنهم سلبوا التاريخ والفكر والأدب، فطرح مثلا: إن الإسلام تحديدا ثقافة سراققة»، ما يسمى أدبا عربيا، كتب من قبل الفرس، ونذكر، «صيام رمضان بلياليه الناشطة».

وهذه الأفكار وغيرها في حاجة إلى توضيح كما يقول سعيد⁽¹²²⁾.

ثلاثة اللفظ في الخطاب السياسي

قال حاييم وايزمن آرثر بلفور في ٣٠ مايو ١٩١٨م: «إن العرب المهرة سطحيًا وسريعي البديهة ، وحسب القوة والنجاح وعلى السلطات البريطانية، وهي التي تعرف الطبيعة الغادرة للعرب، أن تراقب بحذر وبصورة دائمة وبمقدار ما يحاول الحكم الإنجليزي، أن يكون عادلاً، يزداد العرب تعجرفًا وغطرسة»^(١٢٣) فتثار الأساطير النقيضة لمذهب التطور، وهذه أساطير يروج لها الاستشراق، وتبلغ مرحلة الذروة حينما وصلت إلى مؤسسات الدول.

والاستشراق ليس الاستغراب، ولن يجد لنفسه عزاء في ذلك سوى قيام دراسات الانحلال الإغوائي للمعرفة، أي معرفة، وفي أي مكان، وفي كل زمان^(١٢٤). وتظهر استراتيجية الآخر في الخطابات عامة، وخاصة السياسية، فكل سياسي يظهر خصمه ومنافسيه بأبشع صورة؛ لزيادة شعبيته، ولبيان مصداقيته، وهي ذريعة المتكلم فيما يقول.

الخصم/الآخر

لا تخلو خطابات بوش وأعوانه من رسم هذه الصورة: «وجهت رسائل علنية تحض الدكاتاتور على مغادرة العراق» وصف العراق بأنها مصانع السموم، عمليات إعدام للمنشقين، غرف تعذيب، غرف اغتصاب سيرحل الطاغية قريبًا، مجموعات إرهابية أسلحة بيولوجية^(١٢٥) «تخليص البلد من أسلحة الدمار الشامل، «ضد الإرهاب»^(١٢٦) بوش: «تواجه أميركا عدوا لا يحترم الاتفاقات المتعلقة بالحروب، وضع صدام حسين قوات عراقية وعتادا في مناطق مدنية، محاولا استخدام نساء ورجال وأطفال أبرياء دروعا لقواته، إنها ممارسة وحشية أخرى يقوم بها ضد شعبه»^(١٢٧).

مع ذلك إشارة إلى تبرئة نفسه من هذه الحروب ولتسويغ ما قام به: «نأتي إلى العراق ونحن نكنّ لمواطني هذا البلد احترامًا لحضارتهم العظيمة، سنبدل كل جهد ممكن لتجنب تعرض مدنيين عراقيين للأذى».

وهذا لبيان أن أميركا تحترم حقوق المدنيين والأبرياء، وتقبيح صورة الخصم ليتعاطف معه العالم، وهو يرمي إلى نبل هذه الحرب، كما أورد: ليست لدينا طموحات في العراق باستثناء إزالة التهديد وأن يسترد سكان العراق الإشراف على هذا البلد.

استراتيجية الإقناع وأسلوب عاطفي لتحريك مشاعر السامع^(١٢٨).

الآخر من جهة صدام حسين وأسامة بن لادن يتمثل في خصم واحد وهو أميركا (بوش) وإسرائيل وهم من يمتلكون أسلحة الدمار الشامل، ويتجهون نحو هدف واحد، الإسلام محاربة الكفر، ويرمون السهام نحو هدف واحد، الجهاد نحو أميركا وهدم الكفر والكفار ويصفهم صدام حسين بالأعداء، أعداء الله، القزم الصغير، الكيان المسخ، الكيان الصهيوني جريمتة المنكرة ضد شعبنا في فلسطين، كل هذه وغيرها من الصفات ليراهما المستمع كما يردها المتكلم

فهو يعمل على استراتيجية التأثير ومن ثم استراتيجية إيقاع المستمع في شباك المتكلم.
أسامة بن لادن «اطردوا هؤلاء المجرمين ليس لهم ذمة ولا عهد»^(١٢٩).
نيراننا ستصل إلى البيت الأبيض؛ لأنه مقر الظلم والاستبداد^(١٣٠).
ويستخدم أسامة بن لادن كلمات التهديد والوعيد ليخيف الخصم ويطمئن مستمعيه ويحقق
انتباه الجميع.

- «يعدون لكم ما يملأ قلوبكم رعبا ويستهدفون مفاصل اقتصادكم إلى أن تكفوا عن
ظلمكم وعدوانكم أو يموت الأعجل منا»^(١٣١).
- عصابة الإجرام في البيت الأبيض.
- كبير الصليبيين بوش.
- رأس الكفر العالمي^(١٣٢).
- إن أمريكا لن تحلم بالأمن قبل أن تعيشه فلسطين واقعا^(١٣٣).
- أمريكا الطاغية التي داست كل القيم البشرية (٢٤/٨/٢٠٠٢).
- الإسلام يدعو إلى العدل وينهى عن الظلم والإجرام^(١٣٤).
- وغيرها من مثل هذه الكلمات التي تذيب الخصم وتبشع صورته .

لغة الوعيد والتهديد

ترد في الخطابات التي درسناها ألفاظ القدح والذم والخيانة والباطعين وخونة البلاد،
وغير ذلك من الألفاظ التي ترجع في مجملها إلى أساس سيكولوجي واحد، ألا وهو عدم
الثقة بالآخر، وإن كان الخطاب من صدام حسين وأسامة بن لادن موجها للأمة، وإن كان
من جورج بوش وبلير موجها للعالم، فالانتماء هو سيكولوجي في المقام الأول واجتماعي
في المقام الثاني.

ونشاهد ألفاظ العار والمسخ والقزم الصغير، الأفاعي، «رغما عن أنوف الخائبين من
أعدائكم وأصدقاء وأعوان السوء والشيطان» وكذلك عند أسامة بن لادن: «لن يتركوا حول
إسرائيل إلا شظايا ممزقة من أشباه الدول تابعة خانعة خاضعة لأمريكا وإسرائيل»^(١٣٥).

لغة الوعيد والتحدي والتهديد في الأغلب لا تؤدي إلى مكسب أو لا تحقق الهدف المزعوم
«كما في خطابات العرب في الستينيات من القرن العشرين، كانت قائمة على العنتريات^(١٣٦)
«لن نترك أمريكا تحلم بالأمن حتى تعيشه فلسطين واقعا»^(١٣٧) كما ذكرها أسامة بن لادن في
أغلب خطابه، لغة التهديد من خلال الصوت الأمر والتهديد الذي جاء للسعودية وتهديد
الأمريكان: «فسوف نكيل لها بنفس الصاع بإذن الله» و«إن واشنطن لم تع دروس هجمات
الحادي عشر من سبتمبر»^(١٣٨) لغة قوية ضد الخصم تخيفه، كما يذكرها جورج بوش وبلير
حينما قالوا: لقد أعطيته كل شيء ولم يعطني شيئا»^(١٣٩).

هل «الإرهاب» لصيق بالإسلام؟

إن هناك تزييفا متعمدا من قبل منظري الخطاب الثقافي الاختزالي، أمثال فوكوياما وهنتجتون وغيرهم من منظري اليمين الأمريكي الصراعي الذين ينهلون من منهل التمرکز الغربي ضد الأصولية الإسلامية فيسمونها بالتعصب الديني الإرهابي^(١٤١)، وهذا ما جاء في خطابات بوش حينما ألصق الإرهاب بظهور الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر وأن المسلمين هم المسؤولون عن هذه الأحداث وذلك إلى رؤية الغربي عن العربي المنغلق الذي يعبد إلها واحدا وهو ليس بحر، فقد قال إن على الأمريكيان عدم التحرش بالمسلمين وعلينا احترامهم^(١٤٢) وتلميح إلى الإسلام فثبت أن التحرش حدث وأن الإسلام هو وراء ذلك (بوش)^(١٤٣) ثم إعلانها حربا صليبية في ١٦/٩/٢٠٠١، ف «الدوائر المتنفذة التي صاغت الخطاب السياسي الأمريكي تختزل الأصولية ومختلف التشكيلات الاجتماعية والسياسية المنضوية تحت هذا العنوان إلى الأصولية الإسلامية ثم تجري عليها عملية اختزال أخرى لتماهي ما بين الأصولية الإسلامية وبين الإرهاب^(١٤٤)».

فالعقل الغربي ينظر إلى الشرقي بأنه متخلف ونظرة دونية، حقيرة، لا يفكر، ليس لديه مخيّلة وكما ينظر إليه على أنه إرهابي لا يمتلك في قلبه رحمة للآخر، وهو المتميّز بعقله وثقافته وعرقه فيريد أن يدجنه، ويصهره داخل الإطار الغربي ضمن الأمركة أو تحت اسم العولمة، والقرية الكونية، الثقافة الموحدة، لتحل قيم ومبادئ الإسلام بإصدارها حربا صليبية، وكأن الغرب يريد الانتقام من ذاك الماضي المجيد، والتاريخ التليد الذي حققه أبناء هذه الدولة في الحرب الصليبية ومدى الخسائر التي وقعت عليهم، ليس على صعيد السياسة، بل على صعيد العلم والمعرفة؛ لذلك نهبت كل المؤسسات التعليمية والتكنولوجية بُعيد الحرب على العراق، وهذا دليل آخر على أن العقل الغربي له الأولوية في التمرکز، والسلطة والنفوذ في امتلاك الدول الصغرى وإذابتها في الدول الكبرى. وبعد، فإن الزمن ليس في مصلحة التردد، بل ينبغي الإقدام على خيارات مهمة لأننا على عتبة عصر جديد، وجدة هذا الوضع واضحة بذاتها، والناس في كل مكان يعرفون ذلك، وكذلك الحكومات، وإن لم يكن الجميع يعترفون بهذا فبإمكاننا أن نمضي قدما إلى عصر جديد من الأمن يستجيب للقانون والإرادة الجماعية وللمسؤولية المشتركة بأن نضع أمن البشر، والكوكب في مركز كل شيء. فالعالم في حاجة إلى رؤية جديدة يمكن أن تحرك البشر في كل مكان لتحقيق مستويات أعلى من التعاون في مجالات الاهتمام المشترك والمصير الواحد. فزمن التغيير لا يمكن فيه استكناه الأنماط المستقبلية بوضوح هو حتما زمن اللائقين وهناك الحاجة إلى التوازن والحذر أيضا إلى خلق سفر الرؤيا التي توحد آمال هذه «القرية العالمية» التي من المرجح أن تصبح أكثر سلما وأمنا بدرجة كبيرة بالنسبة إلى معظم سكانها بمجرد أن تشفى من التمزقات التي سببها الحروب.

لقد أعلنت ديباجة ميثاق الأمم المتحدة تصميم شعوب العالم على: «أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معا في سلام وحسن جوار». إنه لم يحدث من قبل على الإطلاق لمثل هذا العدد الكبير من الناس مثل هذا القدر من القواسم المشتركة فيما بينهم، وفي ظل هذا الجوار يتعين على المواطنين أن يتعاونوا لخدمة أغراض كثيرة للمحافظة على السلم والنظام وتوسيع مساحة الرفاه العالمي، ونبذ ثقافة العنف، وكبح جماع انتشار آلة التدمير بشتى صورها. فقد جاء في بحث لـ «بابارا وورد» المقدم للجنة العدل والسلام: «إن أهم تغيير يستطيع أن يقوم به الناس هو تغيير طريقتهم في النظر إلى العالم أننا نستطيع أن نغير دراستنا ووظائفنا وجيراننا بل بلادنا وقاراتنا ونظل رغم هذا كما كنا دائما».

ولكن دعونا نغير زاوية رؤيتنا الأساسية وسوف يتغير كل شيء؛ أولوياتنا وقيمنا وأحكامنا ومطالبنا وقد حدث مرارا وتكرارا في تاريخ الأديان أن حدد هذا الانقلاب الشامل في التخيل بداية حياة جديدة، ومنعطفًا للقلوب وبصيرة يرى الناس من خلالها بعيون جديدة، ويفهمون بعقول جديدة ويحولون طاقاتهم إلى طرق جديدة للمعيشة.

الهوامش

- 1 لسان العرب، المعجم الوسيط: خطب .
- 2 انظر الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو .
- 3 انظر عبدالله ابراهيم: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة .
- 4 عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص ٣٥ .
- 5 الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب، ص ٩٠ .
- 6 بول ريكور: نظرية التأويل، ت: سعيد الغانمي، ص ١١ .
- 7 توفيق قريرة: التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص، مجلة عالم الفكر، ص ١٨٣ .
- 8 المرجع السابق، ص ١٩١ .
- 9 ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، ت. عزالدين إسماعيل .
- 10 (Sara Mills, Discourse, P.P 22-26)
- 11 ميشال فوكو: نظام الخطاب، ص ٣٠ .
- 12 المرجع السابق، ص ٣٧ .
- 13 انظر: الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب .
- 14 سمير استيتية: اللغة وسيكولوجية الخطاب، ص ١٥ .
- 15 ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة عز الدين إسماعيل، ص ١٣٣ .
- 16 ميشال فوكو: نظام الخطاب، ص ٩ .
- 17 انظر المرجع السابق .
- 18 سمير استيتية: اللغة وسيكولوجية الخطاب، ص ٢١ .
- 19 عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص ٢٠ .
- 20 نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، ص ١٩٤ .
- 21 حميد لحمداني: القراءة وتوليد الدلالة، ص ٢٥٦ .
- 22 انظر عبدالفتاح الجحمري: تخيل الحكاية - بحث الأنساق الخطابية لرواية مالك الحزين لإبراهيم أصلان .
- 23 المرجع السابق، ص ٦٧ .
- 24 للمزيد انظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب .
- 25 خليل حماس: اللغة والحضارة، ص ٢٨ .
- 26 انظر حميد لحمداني: القراءة وتوليد الدلالة .
- 27 صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢١ .
- 28 فوكو: نظام الخطاب، ص ١٠ .
- 29 انظر مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب .
- 30 فوكو: نظام الخطاب، ص ٣٣ .
- 31 منذر عياشي: الكتابة الثانية، ص ٩٩ .
- 32 بول ريكور: نظرية التأويل، ص ٣٠ .
- 33 صلاح فضل: بلاغة الخطاب، ص ٩٧ .
- 34 فوكو: نظام الخطاب، ص ١٠٩ .
- 35 ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، ص ١١١ .

- 36 المرجع السابق، ص 113 .
- 37 المرجع السابق، ص 114 .
- 38 انظر فوكو: نظام الخطاب .
- 39 انظر المرجع السابق .
- 40 الزواوي بغفورة: مفهوم الخطاب، ص 43 .
- 41 انظر سمير إستيتية: اللغة وسيكولوجية الخطاب .
- 42 الزواوي بغفورة: مفهوم الخطاب، ص 123 .
- 43 المرجع السابق، ص 132 .
- 54 انظر فوكو: نظام الخطاب .
- 45 أحمد بن راشد، قوة الوصف، ص 211 .
- 46 انظر، عبدالهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب .
- 47 جدل الثقافة والسلطة، ص 102 .
- 48 انظر خليل حماش: اللغة والحضارة .
- 49 انظر أحمد بن راشد: قوة الوصف .
- 50 المرجع السابق، ص 215 .
- 51 المرجع السابق، قوة الوصف .
- 52 منذر عياشي: الكتابة الثانية وفتحة المتعة، ص 41 .
- 53 أحمد بن راشد، قوة الوصف، ص 217 .
- 54 المرجع السابق، قوة الوصف .
- 55 المرجع السابق، ص 219 .
- 56 المرجع السابق، ص 220 .
- 57 نيكولسكي: اللغة والسياسة، ص 64 .
- 58 عبدالهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 225 .
- 59 موريس أبو ناصر: إشارة اللغة ودلالة الكلام، ص 283 .
- 60 انظر، أحمد بن راشد: قوة الوصف .
- 61 المرجع السابق، ص 223 .
- 62 انظر صلاح فضل: بلاغة الخطاب .
- 63 فيلي سانديرس: نحو نظرية اسلوبية لسانية، ت. خالد جمعة، ص 126 .
- 64 عبدالله الغدامي: الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية .
- 65 وكالات، واشنطن، 2003/2/8 .
- 66 جريدة الدستور، 12282ع، دبي، 8/10/2001 .
- 67 الدستور: وكالات، 2002/10/15 .
- 68 بيان بوش في أعمال القمة العربية - الأمريكية في شرم الشيخ، وكالات، 2003/6/3 .
- 69 واشنطن، 2003/3/23 .
- 70 واشنطن، وكالات، 2003/2/8 .

- 71 واشنطن، ٢٠٠٣/٣/٢١ .
- 72 الدستور، وكالات، ٢٠٠٣/١٠/١٥، الرأي: ع ١١٥٧٠ع، ١١٥٧٠ع، ٢٠٠٢/٥/١٨ .
- 73 نص أذاعته قناتا الجزيرة والعربية: الأحد، ١٤٢٤هـ/٨/٢، أيضا نص أعلنته الجزيرة، القطرية، ٢٠٠١/٩/٢٥ .
- 74 المصدر بي بي سي BBC .
- 75 من دون مصدر ولا تاريخ كما جاء في الرسالة .
- 76 نص بتاريخ ٢٠٠٣/٢/١٦ .
- 77 بث تلفزيوني عن قناة الجزيرة القطرية، ٢٠٠١/٩/٢٥ .
- 78 القدس العربي - لندن، ٢٠٠٢/١١/٢٨) ورسالة أخرى بثتها الجزيرة بتاريخ، ٢٠٠٣/٥/٢٢ .
- 79 الذكرى الثانية عشرة للمنازلة التاريخية، عن موقع www.uruklink.net/iraq .
- 80 CBB، ٢٠٠١/٩/١٦ .
- 81 رامسفيلد، عواصم: وكالات، ٢٠٠٣/٢/١٦ .
- 82 واشنطن، قدس برس، ٢٠٠٣/٣/٢٧ .
- 83 وكالات/بيان بوش في ختام أعمال القمة العربية، ٢٠٠٣/٦/٣ .
- 84 واشنطن، قدس برس، ٢٠٠٣/٤/٢١ .
- 85 قدس برس، ٢٠٠٣/٤/٢١ .
- 86 بعد الانتهاء من العمليات القتالية في العراق ٢٠٠٣/٤/٤ .
- 87 ابن لادن ٢٠٠٢/٨/٢٤ .
- 88 لندن، القدس العربي: ابن لادن، ٢٠٠٢/١١/٢٨ .
- 89 ابن لادن، عواصم، ٢٠٠٣/٥/٢٢ .
- 90 نديم شاكر: إسلام اون لاين. نت ٢٠٠٢/٨/٢٤ .
- 91 انظر سمير استيتية: اللغة وسيكولوجية الخطاب .
- 92 لندن، ٢٠٠٣/٥/١٥ ووكالات، ٢٠٠٣/٦/٣ .
- 93 لندن، أف ب (AFB)، ٢٠٠٣/٢/١٦ .
- 94 القدس العربي: لندن، ٢٠٠٢/١١/٢٨ .
- 95 واشنطن ٢٠٠٢/١٠/٧، الدستور ٢٠٠٢/٨/٢١ .
- 96 سنغافورة، رويترز، ٢٠٠٣/٣/٢٢ .
- 97 واشنطن، وكالات، ٢٠٠٣/٢/٧ .
- 98 لندن - قدس برس، ٢٠٠٣/٥/١٥ في نص آخر «نسى لسلام حقيقي»، ٢٠٠٣/٦/٣ .
- 99 واشنطن، ٢٠٠٣/٢/١٦ .
- 100 BBC، ٢٠٠١/٩/١٦ .
- 101 واشنطن، أف ب (AFB)، ٢٠٠٣/٣/٢١ .
- 102 بثته الجزيرة، الأربعاء ١١/٩/٢٠٠٣ .
- 103 الدستور، ع ١٢٢٨٢ع، ٢٠٠٢/١٠/٨ .
- 104 الدستور، ٢٠٠١/١٠/٨ .

- 105 . ٢٠٠٢/١/٢٧، www.Uruklin.iraq/net
- 106 انظر، فيلي سانديرس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ت.خالد محمود جمعة .
- 107 موقع الجزيرة.نت .
- 108 الجزيرة، عواصم، ٢٠٠٣/٥/٢٢ .
- 109 الدستور، ٢٠٠٢/٨/٢١ .
- 110 موقع الجزيرة.نت ٢٠٠٤/١٠/٣ .
- 111 واشنطن، (AFB)، ٢٠٠٣/٣/٢١ .
- 112 عواصم، ٢٠٠٣/٥/٢٢ .
- 113 انظر عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب.
- 114 القاهرة، الجزيرة، ٢٠٠٣/٩/١١ .
- 115 عبدالفتاح يوسف: فاعلية التكرار في بنية الخطاب، مجلة فصول، ص ٣١ .
- 116 انظر طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام .
- 117 الرأي، ع، ١١٥٧٠ع، ٢٠٠٢/٥/١٨ .
- 118 عبدالله إبراهيم: الثقافة العربية الحديثة، ص ١٨٤ .
- 119 المرجع السابق، ص ١٨٠ .
- 120 إدوارد سعيد: الاستشراق، ت. كمال أبو ديب .
- 121 المرجع السابق، ص ٢٩٨ .
- 122 المرجع السابق، ص ٣٠٣ .
- 123 المرجع السابق، ص ٣٠٤ .
- 124 المرجع السابق، ص ٣٢٥ .
- 125 بوش، ٢٠٠٣/٣/١٨ .
- 126 قدس برس، ٢٠٠٣/٣/٢٧ .
- 127 واشنطن، ٢٠٠٣/٣/٢١ .
- 128 فيلي سانديرس: نحو نظرية أسلوبية لسانية .
- 129 عواصم، ٢٠٠٣/٥/٢٢ .
- 130 الرأي، ع، ١١٥٧٠ع، ٢٠٠٢/٥/١٨ .
- 131 الجزيرة، ٢٠٠٢/١٠/٦ .
- 132 الدستور، ٢٠٠١/١٠/٨ .
- 133 الدستور، ٢٠٠١/١٠/٨ .
- 134 الجزيرة، ٢٠٠١/٩/٢٥ .
- 135 عواصم، قناة الجزيرة، ٢٠٠٣/٥/٢٢ .
- 136 سمير إستيتية: اللغة وسيكولوجية الخطاب، ص ٣٥ .
- 137 الجزيرة، ٢٠٠٣/٩/١١ .
- 138 الجزيرة، ٢٠٠٢/١٠/٦ .
- 139 انظر، حسن وجيه: سيناريوهات الحرب والسلام .

- 140 موقف أءبار الشرق، مقالات: عمر كوش، 21/10/2002 .
- 141 آطاب 13/9/2001 .
- 142 اعتءاءات آرت فف 14/9/2001 .
- 143 عن موقف أءبار الشرق، مقالات: عمر كوش، 21/10/2002 .

المراجع

الكتب :

- 1 إدوارد سعيد :الاستشراق، ت.كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1981م.
- 2 بول ريكور:نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى -، ت. سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2003م.
- 3 حسن محمد وجيه: سيناريوهات الحرب والسلام، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ط1، 1999م.
- 4 حميد لحداني: القراءة وتوليد الدلالة - تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2003م.
- 5 خلدون حسن النقيب:في البدء كان الصراع، جدل الدين والإثنية، الأمة والطبقة عند العرب، دار الساقى، بيروت، ط1، 1997م.
- 6 ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، ت.عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية المصرية، ط1، 2001م.
- 7 الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2000م.
- 8 سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي - الزمن، السرد، التبئير - المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، ط3، 1997م.
- 9 سمير استيتية: اللغة وسيكولوجية الخطاب، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط1، 2002م.
- 10 صفية مطهري: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م.
- 11 صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 164، أغسطس 1992م.
- 12 طه عبدالرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000م.
- 13 عبدالفتاح الحجمري: تخيل الحكاية - بحث الأنساق الخطابية لرواية مالك الحزين لإبراهيم أصلان، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م.
- 14 عبدالله إبراهيم: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة - تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، ط1، 1999م.
- 15 عبدالهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية - دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، طرابلس، ط1، 2004م.
- 16 عمر أوكان: اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، بيروت، 2001م.
- 17 فيلي سانديرس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ت.خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003م.
- 18 محمد الخطابي: لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب - المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، ط1، 1991م.
- 19 منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، ط1، 1998م.
- 20 مورييس أبو ناصر: إشارة اللغة ودلالة الكلام، منشورات مختارات، بيروت، ط1، 1990م.
- 21 ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ت. محمد سبيلا، دار التنوير، لبنان، 1984م.
- 22 نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، ط1، 1992م.
- 23 دوائر الخوف - قراءة في خطاب المرأة - المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000م.
- 24 هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية - نحو نموذج سيميائي لتحليل النص - ت.محمد العمري، أفريقيا الشرق، ط2، 1999م.

المجلات العربية

- 1 أحمد بن راشد بن سعيد: قوة الوصف، عالم الفكر، الكويت، ع 1، مج 32، م 2003.
- 2 توفيق قريرة: التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص، عالم الفكر، ع 2، مج 32، م 2003.
- 3 خليل حماش: اللغة والحضارة، الموقف الأدبي، دمشق، ع 11، 1975م.
- 4 عادل الشجاع: الخطاب النقدي في مواجهة اللغة، مجلة فصول، ع 3، مج 28، مارس 2000م.
- 5 عبدالفتاح يوسف: فاعلية التكرار في بنية الخطاب، فصول، ع 62، م 2003.
- 6 عبدالله حامد محمد: فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية، عالم الفكر، الكويت، ع 3، مج 28، مارس 2000.
- 7 محمد سويرتي: اللغة ودلالاتها، عالم الفكر، الكويت، ع 3، مج 28، مارس 2000.

الصحف اليومية:

- 1 الدستور الأردنية: أمريكا، الإرهاب، ع 12282، 8/10/2001.
- 2 أمريكا، 15/10/2002.
- 3 أمريكا، 21/8/2002.
- 4 الرأي الأردنية، ع 11570، 18/5/2002.
- 5 القدس العربي: غريب إسكندر: الخطاب، ع 4663، سنة 16، الجمعة 21/5/2004، ص 17.

مواقع الإنترنت

- 1 الجزيرة . نت: اللغة كوسيلة للسلطة، 3/10/2004.
- 2 أخبار الشرق: عمر كوش: الأصولية والنظام الإمبراطوري، مقالات، 21/10/2003.
- 3 إسلام اون لاين. نت: نديم شاكر، 24/8/2000.

www. Uruklink.net/iraq.